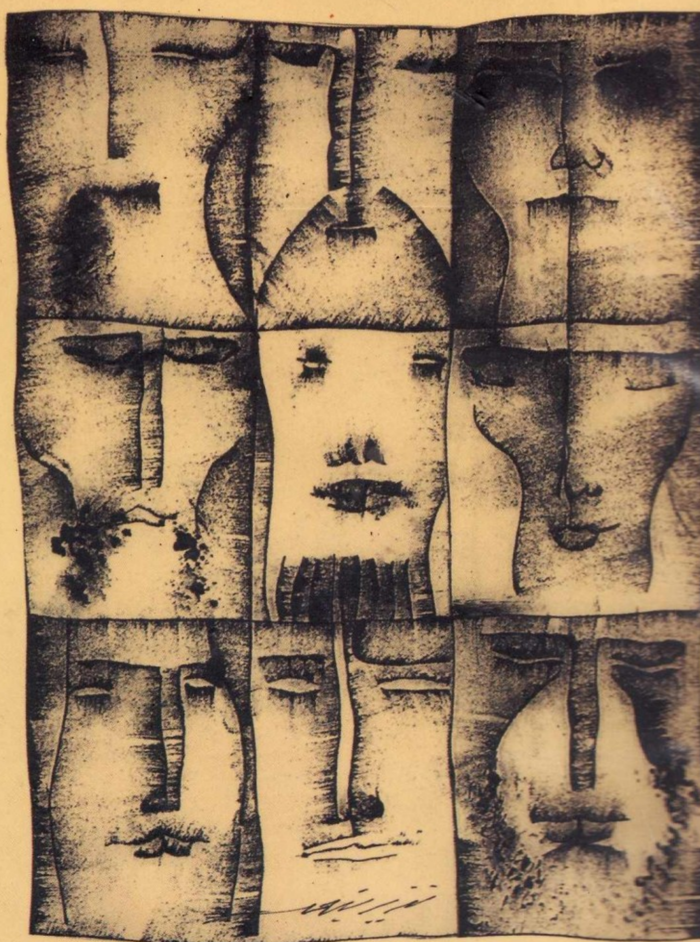
محمد الماغوط

شرق عدن
غرب الجنة

محمّد الماغوط

شرق عدن غرب الله..



محمد الماغوط: حلم الأجيال

بقلم : فاطمة النظامي

إذا ما كانت سماء الشعر العربي الحديث قد سطعت بكثير من النجوم ، فإن مأثرة محمد الماغوط تكمن في كونه ضوء الانفجار الكبير الذي سبق في ظهوره كل تلك النجوم .

يقرع الماغوط ناقوس الشعر على طريقة راهب حزين ، يفرغ على صنجاته كل اشتهاءاته ، ثم يترك حباله تسترخي بانتظار حزن جديد . . .

حزن جديد؟ وهل هناك انقطاع في أحزان الماغوط؟ إلا إذا كان هناك انقطاع في عشقه للحرية . . . إلاّ إذا كان هناك انقطاع في رفضه ، في سخطه ، في تمرده ، في احتجاجه على كل أوبئة العصر . . .

لقد أفاقت عبقرية الماغوط على أهازيج الأحلام الطوباوية ، والتعلل بالسّرابات البراقة والاتكاء على أوهام خادعة ، قذفت بالإنسان العربي

خارج أرصفة التاريخ ،لذا فقد جاء شعره شاهداً على زمانه ، وناقماً على كل ما يحيط به من مغبّات الخيبات ، ومهاوي الانحطاط ، بهذياناته وبجنونه ، بأحلام يقظته وتنبؤاته التي كشفت بعد أعوام وأعوام أنها كانت البرق الذي ينذر بالمطر .

لكن ماذا يفعل هذا الناقم المتمرد ، الذي أحاطه هذا العصر بكل هزائمه سوى ما يفعله الربّان في وجه الإعصار؟

الماغوط ظاهرة حقيقية متفردة ، وهي على جدتها أصيلة ، لم تقم على الأنقاض ولم تبن على الركام . فهو لم يزعزع أي بنيان ، بل بنى بنياناً جديداً بطراز جديد ، وأسلوب جديد ، وروح جديدة ، وعقلية جديدة ، وعندما كتب قصيدته الحديثة ، كانت قصيدة البحور غافية ، فهو لم يقتلها ، لكنه لم يوقظها ، واستولد من روحه ومن مناخاته قصيدته الحديثة ، المركز ، ولما اقتدى به الآخرون كانوا على الأرباض .

يمتاز أسلوب الماغوط بالتركيز والتكثيف وبإبداع عفوي يفوق حدود النقد ، ويعتمد لغة الصورة ، لأن الطفل المدهش القابع في أعماقه يريد أن يخاطب الطفل القابع في أعماق كل إنسان ، وإذا ما كان رامبو قد حلم بعالم ينطق كل الناس فيه شعراً ، فإن الماغوط قد استطاع أن يترجم حلمه بأن يكون بمقدور كل إنسان أن يفهم ويحس ويتذوق الشعر ، خاصة إذا ما تنسّم فيه عبير الحرية والحب والخير والعدالة والسلام .

وربما لا أكون مخطئة إذا ما قلت ، من وجهة نظر أدبية شمولية بأن الأديب الكبير محمد الماغوط يستدعي إلى الذاكرة الأديب الفرنسي الكبير فيكتور هيجو : الشاعر والروائي والمسرحي وكاتب المقالة . رومانسي برؤية واقعية .

هذا الهوميري مستمر وعبقريته في اتقاد .

يغرف من موهبة بلا حدود .

يتجدد دائماً ، بشعر لا يضعف ولا يشيخ .

الماغوط الذي "لم يجد في كل هذا الشرق مكاناً مرتفعاً ينصب عليه : راية استسلامه" .

سيمنح القارئ دائماً مكاناً مرتفعاً ينصب عليه : راية الرّغاب .

الماغوط وأعمدة الطوفان

قلت : ماذا أكتب من "سياف الزهور" إلى "شرق عدن غرب الله" . . ماذا أكتبُ ودمُ العراق يسيل . وحبر محمد الماغوط يسيل ، بل أحزانه – في ضوء القمر كانت أم تحت الشمس ، تغمر وجه العالم؟!

كان نوحٌ في الأهوار
كان يبحث عن بحّار
يستجدي الأمطار
وينادي قابيل وهابيل
وينادي على الأشجار

❋

وترتفعُ أعمدة الطوفان فألمح الماغوط على وجه القمر . كان صوت أيوب السومري ما بين المتوسّط والرافدين يخترق الحجب ، وصراخه : الرياح الغريبة تطعن جلجامش يملأ الأودية والبطاح .

قبالتي جبل السائح في مرمريتا ينتظر الحمامة وغصن الزيتون ، وأنا أحملُ عالم محمد الماغوط تحت إبطي . وإذا عدتُ من عالمه – وأنا لا أبرحه – رأيتُني معلّقاً بين غمامتين . الأولى قصيدة والثانية بحر في الأهوار وهي تفيض من كل الجوانب دماً ودموعاً وحبراً . .

الياس مسوح

كرسي الاعتراف

-١-

و الريح تعصف و الثلج يتساقط من حولي
جلست في كوخي الشعري المتواضع
و دفنت كستنائي العاطفية و الجسدية و التاريخية
و رحت أنتظر

. . .

يا رب . . .
ساعدني على قول الحق
و مواجهة الواقع
و تحمّل العطش
و الجوع
و الحرمان
و ألاّ أردّ سائلاً
أو أنهر يتيماً
أو استرداد نفقات الأمل على الأقل .

-٢-

يد واحدة لا تصفق
إلى الجحيم
ألم تشبعوا تصفيقاً بعد ؟

*

ترميم زهرة
أو اقتحام قاعة
كله سيّان

*

أسناني بصلابة منجلي
و ألتحف حقولي و سنابلي
و أنام على الطوى . . .

*

دموعي بعدد أخطائي

و أخطائي بعدد التزاماتي

*

و شجاعتي بعدد أسلحتي
و تردّدي بعدد جبهاتي

*

و ساعات نومي بعدد كوابيسي
و كوابيسي بعدد وسائدي و اتساع بلادي
و بلادي باتساع أرصفتي و دفاتري .

أرق الغيوم

-١-

اكتب . .
ما أروعها من كلمة
إنها حتمية المعركة
بين أرقام فيثاغورث و نسبية أنشتاين
و العواصف الثلجية و مركب رامبو السكران

. . .

اكتب . .
إنها أمر الغزاة الأوائل و العظام المحطَّمين
و لكن رمحاً برمح
و شراعاً بشراع
و عاصفة بعاصفة
و نصرا مقابل نصر
و هزيمة مقابل هزيمة . . .

ثم تابعوا الطريق يا فرسان الكلمة المستديرة
فمركب رامبو السكران ما زال يبحر
و عليكم أن تجدوه في بحر الظلمات هذا
أو أن تهتدوا بحطامه .

-٢-

داخل شجرة صنوبر
كنت أختبئ ذات ليلة
هرباً من البرد و الحكام و المدرسين
و هناك سمعت لأول مرة
صوت عبد الوهاب
و أم كلثوم
و اسمهان
و فيروز
و عبلة الخوري
و أوامر الإعدام الجلية بحق البحر . .
و الإبقاء على الصحراء . . .

-٣-

كنت مزارعاً و لا حقول لي
عاملاً و لا مصانع لي
رياضياً و لا فريق لي
مطرباً و لا جمهور لي
فعرفت بعد كثير من الدراسات و الأرقام و الاحصائيات والاستشارات و الانطباعات
أنني عبد و عليّ تحطيم سلاسلي
وبعد خمسين سنة من الأرقام والاحصائيات والشروح والمطولات والمناقشات والمراجعات والمداولات والتوصيات والهتافات
صرت أتباهى بها .

-٤-

تلك الغيوم كانت في بلادي
و تلك الطيور في سمائي
و ذلك الضباب في قريتي
و ذلك الياسمين على شرفتي
و ذلك الهديل على نوافذي
و ذلك الحنين في ضلوعي
و كل ذلك التصميم في ملامحي
و كل ذلك الغبار ورائي
و كل تلك الآفاق أمامي
و كل تلك البطولات في ذاكرتي
و كل ذلك الدخان في مضاربي
و كل تلك المهابة في مجلسي
و كل ذلك الحداء في حنجرتي

و كل تلك الملاحم في دفاتري

. . .

كل ذلك رأيته

و انا أبيع ما تبقى من أصابعي

لأحد السياح

من تجار الآثار والعاديات .

-٥-

مجرم سفاح من يشغلني بزيارة ، بمكالمة هاتفية ، بمصافحة ، ـاب ، بتهنئة ، بتعزية ، بإشاعة ، بنبأ زواج أو طلاق ، أو محاضرة ، أو ـوة ، أو نكتة مهما كانت ساخرة و موفقة .

لأنه كمن يشغل رفاً من السنونو عند حلول الظلام ، في وطن ـريب بدودة أو كسرة خبز .

و مجرم أكثر من يعبث بأدراجي و دفاتري و ملاحظاتي في غيابي ،

إنه كمن يعبث بعفاف طفلة و هي في نعش .

لأنني " مشغول "من رأسي حتى قدمي ببناء محكمة أسطورية ـلى قمة جبل أو قمة آلام هذه الأمة متابعاً بنفسي أدق التفاصيل ، ـن اختبار الموقع ، إلى قفص الاتهام ، إلى منصة الشهود و القضاة ـأروابهم و باروكاتهم ، و حياد المحلفين و جنسياتهم و ميزان العدالة ـمطرقة الرئاسة و محامي الدفاع و النائب العام .

أما المتهمون ، فسأتي بهم سوقاً بالعصي و لو من عرض الشارع . . .

فلا بد من أن يحاكم أحد ما بتهمة ما ، في هذه المرحلة!!

المقصب

-١-

الفلاحون ينتظرون المطر

و العمال زيادة الأجر

و الطلاب سنة التخرج

و الموظفون سنة التقاعد

. . .

و العروس تنتظر الحمل

و الحامل تنتظر الولادة

. . .

و المرشحون ينتظرون نتائج الانتخابات

و السياسيون نتائج المفاوضات

و المدعوون نهاية المحاضرة

و الجيوش أوامر الهجوم أو الانسحاب

. . .

و الأغنياء ينتظرون مواسم الاصطياف

و الفقراء ينتظرون الثورة

و الثوار ينتظرون نتائج السحب . .

و أنا أنتظر الجنون :

فبعد أن صار العميل و الخائن و الجاسوس

و اللص و المهرب و المزوّر

و اللوطي و القواد و العاهرة

و سماسرة الأغذية الفاسدة و المخلفات الكيماوية

و تجارة الأعضاء البشرية و الجغرافية و التاريخية و القومية

لا يتحدثون إلاّ عن الوطن و هموم المواطن

و المقاومة و الاحتلال و عار الاحتلال

فعن ماذا نتحدث نحن الكتاب و الشعراء

عن الحمى القلاعية و جنون البقر ؟

-٢-

كل ما تراه و تسمعه و تلمسه و تتنشقه و تتذوقه

و ما تذكره و تنتظره و ينتظرك

يدعوك للرحيل و الفرار و لو بثيابك الداخلية

إلى أقرب سفينة أو قطار :

ألوان الطعام

الشراب

الخدمات العامة

الرشاوى العلنية

أصوات المطربين

أصوات الباعة

مخالفات المرور

الأمراض المستعصية

الأدوية المفقودة

و الجارير المكشوفة في كل مكان

. . .

نتائج الانتخابات

نتائج المفاوضات

نتائج المباريات

نتائج السحب

. . .

الراتب التقاعدي

بدل نهاية الخدمة

و الهرولة وراء وسائط النقل

من الصباح إلى المساء

. . .

ثم المصلحة العامة

و الذوق العام

و الحق العام

و الرأي العام

و الصمت المطبق في كل مجلس

و الوحدة القاتلة في كل سرير

. . .

ثم المطولات الصحفية ، و آراء المحللين

و الإعلام الموجه

و السينما الموجهة

و المسرح الموجه

و القضاء الموجه

و الرياضة الموجهة

و الزواج الموجه

و الغش في كل سلعة

و الهزيمة في كل حرب!

. . .

و مع ذلك لن أرحل

و لن أبرح مكاني قيد أنملة

كما يحلم يهود الداخل و الخارج

و سأتشبث بالأسلاك الشائكة و الحدود المكهربة

و لو تفحمّت عليها!

مدرجات رومانية

-١-

لم يبق من أجراس الثورة سوى الصدى
و لا من جواد الشعر سوى اللجام
و لا من طريق الحرية ، سوى الحواجز الثابتة و الطيارة
لقد قضيت طفولتي و شبابي ، و مسيرة الحرية و التحرير كلها ،
بين البنادق و الرشاشات ، و السلاسل ، و الدبابات ، و المجنزرات ،
والدوريات المؤللة ، و المجوقلة و كل خطوة و الثانية :
قف : هويتك
قف : أوراقك
قف : جواز سفرك
قف : ماذا في حقيبتك ؟
قف : ماذا في جيوبك ؟
قف : ماذا في فمك ؟
قف : إلى أين أنت ذاهب ؟

قف : من أين أنت قادم ؟

و كلما أردت القفز عن هذا الواقع ، لا أقع إلا في النظارة!

. . .

نعم دخلنا القرن الحادي و العشرين

و لكن كما تدخل الذبابة غرفة الملك!

-٢-

مستقبل العراق مظلم

مستقبل فلسطين مظلم

مستقبل الحرية مظلم

مستقبل الوحدة مظلم

مستقبل التحرير مظلم

مستقبل الاقتصاد مظلم

مستقبل الثقافة مظلم

مستقبل الحب مظلم

مستقبل الطقس مظلم

و فوق ذلك :

هناك تعتيم إعلامي

و تعتيم سياسي

و تعتيم عسكري

و تعتيم اقتصادي

و تعتيم ثقافي

و تعتيم طائفي

و فوق ذلك انقطاع التيار الكهربائي كل نصف ساعة ،

و مع ذلك لا يتحدثون في هذه الأيام سوى عن الشفافية!

-٣-

أخذوا طريقتي في التسكع ، و اعتمار القبعات

و إشعال اللفافة و نفث الدخان ،

و تذمري من المتسولين ، و طالبي الإحسان

و أسلوبي في التحيات و الرد عليها

و غضبي من الشكاوى العامة

و الضحك بصوت مرتفع

ثم طريقتي في احتضان البار

و إدارة ظهري للجميع

و التصفيق للنادل

و عدد الكؤوس التي أشربها

و مقدار الحثالة التي أخلّفها .

ثم أخذوا طاولتي في المقهى

و طقوسي في الكتابة

و حجم الدفاتر التي أستعملها
و لون الحبر الذي أكتب به
و الآن . . يريدون يدي
مع تجاعيدها
و وشم الغزال القديم عليها!

- ٤ -

أيها الحدادون
أيها النجارون
أيها الحجارون
أيها البواقون في الاستعراضات العسكرية
أيها الطبالون في الفرق الكشفية
أيها المسحّرون في الأحياء الشعبية
أيها الباعة المتجولون في الأسواق التجارية
أيتها النساء المتلاسنات من نافذة لنافذة
يا سائقي السيارات و الشاحنات
يا شرطة المرور
يا مشجعي المباريات الرياضية
أيها الخطباء و الهتافون في المواكب الرسمية
أيها المشفطون بسياراتهم صباح مساء

أخفضوا أصواتكم
و أصوات صفاراتكم و أبواقكم و مطارقكم
تخاطبوا همساً
و سيروا على رؤوس أقدامكم
فالوطن يحتضر!!

جزر أمنية

-١٠-

أظافري لا تخدش
أسناني لا تأكل
صوتي لا يسمع
أحلامي لا تتحقق
دموعي لا تنهمر
أليست هذه بطالة مقنعة ؟

. . .

الكل يقلع و أنا مازلت في المطار .

. . .

كل جراحي اعتراها القدم ، و أصابها الإهمال
لم تعد دماؤها قانية
و لا آلامها مبرحة
و لا طعمها مستساغاً

و لا عمقها مقنعاً
الوحدة ، الحرية ،اليمين ، اليسار ، فلسطين ، العراق ، العرب ، العجم . .
يجب إعادة جدولة همومي .

. . .

حافة القبعة تؤثر في رأس بوش الابن و الأب و العم و الخال والخالة ، أكثر مما تؤثر فيه كل المهرجانات و المسرحيات و المعلقات العربية المعاصرة و الجاهلية .

. . .

إنني أسمع بالعلق ، و لكنني لم أره في حياتي!
من يمص دمي إذاً ؟

. . .

لا تنحن لأحد مهما كان الأمر ضرورياً

فقد لا تؤاتيك الفرصة لتنتصب مرة أخرى

. . .

لماذا تنكيس الأعلام العربية فوق الدوائر الرسمية و السفارات والقنصليات في الخارج ، عند كل مصاب ؟
إنها دائماً منكسة !

. . .

قد تحترق و تتصحر كل الغابات و الأدغال في العالم إلاّ الغابات والأدغال التي يعيش فيها المواطن العربي .

-٢-

هل أبكي بدموع فوسفورية

حتى يعرف شعبي كم أتألم من أجله ؟

. . .

خمسون عاماً و أنا أترنح

و لم أسقط حتى الآن

و لم يهزمني القدر

إلاّ بالنقاط و الضربات الترجيحية!!

. . .

اتفقوا على توحيد الله ، و تقسيم الأوطان .

. . .

كل السيول و الفيضانات تبدأ بقطرات تتجمع من هنا و هناك إلا عند العرب

يكون عندنا سيول و فيضانات

و تنتهي بقطرات تتفرق هنا و هناك .

. . .

أخي السائق :

لا تستعمل الزمور إلاّ في فترة الامتحانات ،

أو التحضير لها .

. . .

الكل متفقون على بيع كل شيء

و لكنهم مختلفون على الأسعار!

ماذا أفعل بحصتي من فلسطين ؟

هل أشتري بها شهادة استثمار ؟ .

. . .

عندما يتناول الصحافيون و الإعلاميون العرب أي موضوع و لو كان عن كسوف الشمس و خسوف القمر أو سقوط أحد المذنبات

المجهولة ، لا بد و أن يتملقوا حكامهم ، و يظهروا للقارئ أو للمستمع دوراً لهم مهما كان صغيراً في هذه العجائب الكونية .

. . .

بعد اتكالنا على الغير في كل شيء سياسياً و اقتصاديا و ثقافياً و حتى طائفياً قد يأتي يوم نعتمد فيه على غيرنا حتى في الإنجاب .

. . .

الصمود و التصدي :

صمود على الكراسي

و التصدي لكل من يقترب منها .

. . .

-٣-

في الخمسينات و الستينات كان السؤال الملح على الكاتب : ماذا سيعطي لوطنه ؟

أما السؤال الآن فهو : ماذا سيأخذ منه ؟

. . .

حتى النسر يتثاءب في الفضاء

إذا كانت رحلته طويلة ، و المناظر متشابهة من حوله .

أغنية المهد

لا أعرف ـ حتى الآن ـ كيف غافلت أمي أو جدتي و حبوت ، و اللعاب يسيل من فمي و أطواقي ، داخل كهف اللغة ، التي ستصير قدري في المستقبل . . .

و توغلت في مجاهل قواميسها و معاجمها و مراجعها و فهارسها وسحر بيانها . . و رجع مقاماتها و آياتها . . و مدها و جزرها و أغوارها . . وطبولها و ناياتها . .

و صمتها و هذيانها . .

و قبلاتها و أظافرها . .

و حضورها و غيابها . .

و إيمانها و ضلا لها . .

و شمسها و ظلماتها . .

و أحلامها و كوابيسها . .

و مجدها و عارها . .

من "ضرب زيدٌ عمراً " إلى أن نقلوه إلى غرفة الإنعاش . .

حيث كل حرف فيها

يحتاج إلى قارئ ليفك رموزها و طلاسمها . .

و إلى عالم أحياء ، ليكتشف أي أثر للحياة في أجرامها ومتاهاتها . .

إلى أن خرجت ملوحاً بسيفي على أبواب طروادة التي تحاصرها . .

و على متن جوادها الأسطوري ، لا في جوفه ، أو بين حوافره . .

و صرت أشم رائحة القصائد ، كما يشم الفلاح المبكر :

رائحة الورد و الزيزفون و الحبق و الزعفران و البيلسان و غار المجد والتوابيت . .

و السجين الريفي البعيد ثياب أمه و جدته و صوف أغنامه و يمام نافذته ، من خلال القضبان .

من دفاتر الضباب

-١-

أقبلت طلائع السلب و النهب و التخلف
تسبقها الغربان المدربة
و خيول القتال و جمال الغنائم
و في مؤخرتها جواري الرقص و الغناء في الأراضي المستباحة
و بأظافري و أقلامي حفرت خنادق المواجهة
و بعثت برسول من الحبر
ليوقظ الغافلين في المطابع و المكتبات و المراكز الثقافية
و ساحات التخرج و قاعات الامتحان التي لا يحدها البصر
و غيرها من مضارب الأمل في عشيرتي
فلم يلب النداء أحد سوى سكير أميّ مترنح في الطرقات .

-٢-

النقاء المطلق
البراءة المطلقة
الحب المطلق
كلها أهداف نبيلة و لاغبار عليها
و أنا أكره هذه الأهداف
لا بد من غريق في كل بحر
فخ في كل غابة
تائه في كل صحراء
طريد في كل شارع
و إلاّ أصبحت الحياة لا تطاق
كغرف التعذيب الأطلسية .

-٣-

لماذا يحق للشعراء أن يكسروا البيت الذي يريدون لضرورة الشعر
و لا يحق لسواهم ؟
سأكسر القاعدة أو القواعد التي أريد لضرورة النثر!
فليس هناك أبناء ست و أبناء جارية في كل آداب العالم .

-٤-

فضاء ، ثم فضاء ثم فضاء
و لا شيء أخر سوى حفيف الأجنحة و صفير الرياح
و الغيوم التي تشبه الأرائك
لمن هدّه التعب من النسور .
اشتقت للسقوط
للانحدار
فهناك بعض الجيف تناديني .

❊

الجنون يحطم فيرتاح
و أنا أبني فأتألّم!

❊

الكل يريد أن يخرجني عن طوري
وها أنا خرجت عن طوري
ومن بيتي!
فما الذي تغير أو سيتغير في العالم؟

-٥-

الآخرون يريدون أن يأكلوا
و أنا أريد أن أجوع
أن يلبسوا
و أنا أريد أن أعرى
أن يستقروا
و أنا أريد أن أتشرد
و لذلك لا يمكن أن أخوض أي سباق مع أي كان
لأن الكل يريد أن يربح
و أنا أريد أن أخسر .

-٦-

في هذه الليلة الشهية كراقصات تاهيتي اليانعات
و بعد أن أتأكد من أن الجميع
أغلقوا مصارفهم و خزائنهم و حدودهم و ممالكهم و بيوتهم
أفتح دفاتري

-٧-

الأخطار تغريني و النعم تضجرني
و صمت المقهورين يستفزني
و رنين السلاسل يستهويني
إنني دائماً محاصر و متكبر
مثل ماري أنطوانيت بين صفين من الغوغاء في أيامها الأخيرة .

-٨-

فلان ذبح أخته دفاعاً عن شرف العائلة

و فلانة ذبحت ابنتها دفاعاً عن شرف القبيلة

و فلان اغتال قائده دفاعاً عن شرف الدولة ، العرش ، النظام ، الأعراف و التقاليد

و المشكلة أن الشرف لا يمكن وصفه أو تحديد شكله أو لونه أو رائحته أو طباعه أو عمره أو وجوده لأنه كالعار أو الله .

-٩-

كنت متخماً بالغدر و القحة و السماجة و الألفاظ النابية والتخيلات المعيبة
حتى ضقت ذرعاً بها
و رحت أتحين الفرصة للتخلص منها
يوماً بعد يوم
شهراً بعد شهر
و فصلاً بعد فصل
هل أبددها سباباً على الطقس
على المرض
على الوشاية
على الأعياد الشخصية و الوطنية
و على الدائنين
و السائقين

و المهربين
و الأقفاص و السجون و سياط التعذيب ؟
و فجأة امتدت يدي إلى القلم
و كتبت أجمل القصائد في حياتي .

-١٠-

على مدار الساعة
أمدّ دفاتري من النافذة
و كل ما يعلق أو يصطدم أو يستجير بها
يصبح شعراً لا محالة
و أمنحهم ثقتي و رعايتي و بركتي
المريض أعالجه
القذر أنظفه
الخائن أطمئنه
الضائع أرشده
و نضم بعضنا كعائلة واحدة
بحيث لا يلزمنا إلاّ سقف ما
و لو على ظهر دراجة .

-١١-

الكل يركض وراء الشهرة
المال
الحب
الجنس
الرياضة
الفروسية
الطعام
و أنا أركض وراء الفقراء
و هذا من سوء حظي و حظهم
وحدهم الفقراء يستيقظون مبكرين قبل الجميع
حتى لا يسبقهم إلى العذاب احد .

-١٢-

أيتها القبلات الطويلة كليالي الشتاء
أيتها العيون الخضر الظليلة
هل أقام الربيع بين أهدابك ؟
أم مرّ مرور الكرام ؟
و هذا الفم المجمّد كالوقف الإسلامي في أهم منطقة تجارية في الوجه
و هذه الشامات التي تتخطّر كحرس اللوحات النادرة
ماذا أقول لها ؟
أيها اللوفر الصغير
بماذا أؤمّن عليك ؟ .

-١٣-

أنا مفتي الديار المهدّمة
و المرشد العام للأطفال و الطيور و السفن إلى جبال الجليد والوديان السحيقة
لا أرى في هتلر إلاّ لوحاته
و في موسوليني إلاّ شاعريته
و في ستالين إلاّ بساطته
و في هولاكو و أتيلا و جنكيز خان إلاّ المادة التاريخية للسيّاح وكتّاب السيرة و المسلسلات
و لا أرى في الرحابنة و فيروز الزواج و الطلاق و الخلافات المستعرة
بل الروائع التي قدّموها
و في ليلى مراد المطربة اليهودية
بل المبدعة المصرية

وفي أيّ وطن مهما حفل باللصوص و المهربين و العملاء والمرتشين
لا أرى إلاّ مناخه و شمسه التي تشرق على الجميع
إلاّ إذا كنت جائعا أو سجينا .

-١٤-

قصائدي رسائل متوالية
لفتح صفحة جديدة مع الحياة
و استخدمت من خلالها
ورد الأضاحي
و متاريس الثورات
و الخوذ المائلة كالجرار الريفية على الأكتاف
و النصر الملول من الحفر و الذرى

-١٥-

أيها الجوع الأزرق الناب و العينين
كفاك تحديقاً في السماء البعيدة
إنها لن تمطر
لن تمطر أبداً بعد الآن . . .

-١٦-

على رقعة من الأرض بمساحة المحرمة
عليّ أن أحطّ رحالي
و انصب خيمتي
و أحفر بئري
و أزرع أشجاري
و أستحم و أنشر ثيابي
و أقري الضيف و أغيث الملهوف
و أذود عن حياضها بالغالي و النفيس .

-١٧-

امتطيت مركبتي الشراعية
بعد أن صممتها من ثيابي وقصائدي وشال أمي وحداء أصدقائي
بحثاً عن هدف بجمالها و أمانها
و فجأة . .
سقط الشعر على المنابر
وشال أمي على صدرها
و الحداء على الصحراء
و بقيت معلقاً بين الأرض و السماء .

-١٨-

المبدعون العظام يرسمون ويكتبون قصائدهم وأفكارهم وأحلامهم
و المناظر التي تروق لهم على قلامة ظفر من بلادهم
و أنا لا أستطيع أن أكتب أو أرسم
قلامة ظفر من أي شيء أحبه في أي مكان من بلادي كلها .

-١٩-

الخارج :
الطرقات مزدحمة
الأرصفة ، الحافلات ، الحوانيت ، الشرفات ، المكاتب ، الفنادق ،
السجون ، الجوامع ، المقاهي ، الملاهي ، الحدائق .
العودة :
المصعد فارغ
المدخل فارغ
المطبخ
القدور
الزجاجات
الاقداح
الغرف ،الأسرة ،الحقائب ،الأدراج ، السطوح ،الشرفات .
إنها : سيبيريا .

أين معطفي الفراء و قبعتي و حذائي و قفازي ؟
و زحافتي و كلابي و البخار يتصاعد من افواهنا ؟
انها سيبيرياي الحقيقية و الابدية
فأهلاً و سهلاً .

-٢٠-

إذا كانت النبوة تتطلب الخبرة و الممارسة بمشاكل البشر المستعصية
فإن خبرتي في الجوع مثلاً تؤهلني لأن أكون إلهاً . . لا نبياً .

-٢١-

الأرصفة تتآمر على المارة
و المارة على المتسولين
و الأشجار على الطيور
و الشاعر على القصائد
و الأرض على الينابيع
و الصحراء على السراب
و الملاح على الأمواج
و الأمير على الخادم
و الخادم على السائس
ليبحر كل شيء في هذا المرجل الفينيقي
لإنقاذ الطيور و الربيع و الشعر و السراب!!

-٢٢-

ليلق الفلاح معوله
و العامل مطرقته
والجندي سلاحه
و الخيول فرسانها
و الفرسان سيوفهم
و الجياع ملاعقهم
و الطيور ريشها
و الأسماك ما في فمها
و لتبتعد الأرصفة و الأعمدة و الجدران بقدر ما يستطيعون و هم
[illegible]قون و يهللون
فقصائدي الأميرة ستمر من هنا لتفقد رعيتها .

-٢٣-

و الثلج يتساقط
و الريح تعصف
سمعت جلبة غير عادية في غرفة نومي
فصرخت بالخادم : ما هذا ؟
من اقتحم عزلتي ؟
- قصائد غريبة مسالمة أسرعت لحمايتك .
- و بماذا كتبت ؟
- بالورد
بالخمر
بالثلج
بالمطر
بالوحل
و واحدة بالروح بالدم .

ـ اطرديها فوراً ، ولكن . . لا . . دعيها تدخل ما ذنبها ؟ ما ذنب الكلمات؟

إنها كالجارية أو الخادم بين أيدي الكاتب أو الشاعر ، فمعظم القصائد التي من هذا النوع يكون كتّابها و مرسلوها في أحسن حال ، في حوض سباحة ، أو على يخت بحري ، يضاربون في البورصة على كل شي .

على كل حال دعيها تدخل هي و كل من في الخارج حتى القطط و الحراس و اللصوص و الثلوج و العواصف ، لنخلي الطريق أمام الفجر
نريده أن يأتي و يمر دون عقبات فقد يكون مستعجلاً
ـ أو تائهاً!!

ـ٢٤ـ

إنني أعيش في وطن من الأجنحة و لكنني أزحف
أعصر خموراً من أشهر المصادر و لكن من ينال قطرة يصحو
أقطّع خبزاً من أجود الإهراءات و كل من ينال لقمة يجوع
و أحارب بأمضى السيوف و كل من تناله طعنة ينجو
و من يركب زوارقي يغرق
و لذلك
و بسلاح أبيض كالياسمين
أخليت السماء من طيورها
و الأمواج من بحارها
و الأشجار من بساتينها
و العصافير من أعشاشها
و المصلين من جوامعهم
و المسافرين من قطاراتهم

لأحلّ هذا اللغز العجيب
لأن التراجع عن الخطأ فضيلة
إلاّ في هذه الأمة
فالفضيلة هي الاستمرار فيه .

ـ٢٥ـ

نصائح إلى أية قصيدة :
الجائع سيأكلك
المكبوت سينالك
التاجر سيبيعك
الطبيب سيشوهك
الفيلسوف سيناقشك
العاشق سيرددك
و المناضل سيتاجر بك
و أنتم أيها الشعراء و النقاد و المطربون و الجلادون إياكم و الغرور
تذكروا منظر صدام حسين لحظة اعتقاله أمام العالم أجمع .

-٢٦-

إنني لا أفرّط بكلمة أو حرف أو نقطة أو فاصلة مستعملة فيما كتبت و أكتب

فقد أعدّ منها ما هو أجمل من كل ما كتبت و قرأت .

كاليهودي العائد من تجارته في المساء حيث لا يفرّط بمسمار ، بإطار نظارة ، دراجة ، حبكة شعر ، عدسة لاصقة ، ليصنع منها مفاجأة الموسم لزبائنه .

و كالأم المدبّرة التي لا تستغني عن كسرة خبز أو قطرة شاي أو قشرة بصلة لتعدّ منها وجبة غير متوقعة في الحي كله .

و كالطبيب الشعبي الذي لا يفرّط بأي عشبة أو حقنة مستعملة أو نصيحة عابرة ليصنع منها دواءً يباع في السوق السوداء .

و كالسجين الذي يحرص على كل بذرة أو نواة أو قلامة ظفر أو دبوس أو سكين أو ملعقة انتهى أجلها ليفتح أملاً جديداً في محاولة جديدة للنجاة مما هو فيه .

*

ـ سيدي الكاتب هناك نكتة ضائعة من المسرحية و هي نكتة الموسم .

ـ أخذتها الجمارك كما تأخذ من أي شيء في طريقها!!

-٢٧-

حبك يا حبيبتي أشبه بعذاب السجون
و فراق آخر وجه نحبه من نافذة القطار!
بعد كل ما كتبت و قرأت و تمنيت قرب سريرك
لا تتركين لي سوى الدموع أفعل بها ما أشاء!
ما هذا الكرم الحاتمي ؟
إن التاجر اليهودي يترك للحمالين أكثر مما تتركين!

-٢٨-

القمم الراسخة تغار من كبريائي
و الجمال من عطشي
و سيزيف من تحملي
و أبو الهول من ثباتي
و الفجر من تفاؤلي
و الأعاصير من مقاومتي
و الأفق من طموحي
و الينابيع من عطائي
و شكسبير من إبداعي
و رودان من إتقاني
و زينب من مملكتي
و مع ذلك أرتدي و أخلع ثيابي و أستعمل أدواتي
و أقابل أصدقائي و زواري
كما يحدث في تمثيل جريمة!

-٢٩-

غبار ، رصاص ، غربان

عصير مقبض و زهور شمطاء و حساء بارد

و مصعد معطل و خادم أعور و أجور تقصم الظهر

هذه إقامتي في فندق الحياة مع ذبابة تطنّ في أذني

مذ كنت قاضي أحداث في مجالس الشورى .

-٣٠-

بعد كل هذه الواقعية في الأدب

و السياسة

و الحب

و الزواج

و الإنفاق

و الإنجاب

*

كيف يمكن أن أحلم و بأي شيء ؟

*

بعد كل هذه الفطنة و الحذر و التوجس من

النملة و الصرصور و البعوضة الغريبة في عتبة

كيف لي أن أغفل عن وطن ، عن قارة بكاملها .

-٣١-

الظلم

الاضطهاد

الخوف

الغدر

الخيانة

يتخطّون ضحاياهم للوصول عراة إلى شاطئ الأمان . .

و طبقات إثر طبقات من أدوات الزينة و الوصفات الطبية

والعلاقات الاجتماعية والوطنية و التجارية و الثقافية و الدينية و أشعة

الشمس و الغبار والدخان والضباب :

لأحمي طفولتي!!

-٣٢-

ما هبّ و دبّ يدفعني للتفريط بما أدخر

من حزن

و فرح

و حزم

و سعة صدر

و راحة بال

في معارك جانبية ، لا تستحق قلامة ظفر

و أنا منصرف بكليتي

لتنمية أظافري و تقليمها و إطالتها

و لكنني أخفي كل ذلك

تحت أكمام المعاطف و القمصان

خوفاً من الحسد و الوشاية .

إنها أظافر شعبي و أمتي

رغم كل ما عانيته من خدوش و أورام منها ومن غيرها .

-٣٣-

ماذا جنى شكسبير من مسرحياته
و غوته من سلطانه
و شابلن من سخريته
و نيتشه من فلسفته
و غويا من رسومه
و رودان من إزميله
و بايرون من أناشيده
و غيفارا من براءته
و ميرابو من ثورته
و شوبان من أوتاره
و ماري انطوانيت من عشاقها و تاجها
غير السل و الصرع و الجنون و الصمم و الضياع و التغوط في العراء .

-٣٤-

الكل يريد أن يرضع كفايته من صدري
الطيور
الأشجار
الحجاج
القراصنة
المشردون
العابرون
هل أنا حليمة السعدية ؟

-٣٥-

أيتها المطارق الخالدة على الأبواب
أيتها الصور الخالدة على الجدران
أيتها الثياب الخالدة في الدواليب
أيتها الكؤوس الخالدة على الرفوف
أيتها التماثيل الخالدة في الساحات
أيتها الحدود الخالدة في الكتب
أيتها الأوطان الخالدة في الخرائط
أيها الفراغ الأبدي
كم سنقضي أوقاتاً طيبة هذا الشتاء و كل شتاء ؟

-٣٦-

أنبياء و مبشرون
قادة و مرافقون
و قضاة و مشانق و توابيت
و خونة و لصوص
و خبراء و مشرعون و محامون
و جيوش جرارة
يطاردون طفلة مرتجلة بين الغيوم
و لأنني وقفت في طريقهم
و جدت نفسي وراء الستار الحديدي الجديد
و في خضم الصراع الطبقي و محاكم التفتيش عن أي شيء بين الغيوم!!

-٣٧-

أحب الأبواب لا الزوار
السياج لا الحقل
الأجراس لا القطيع
الكلاب لا الوفاء
الطفولة لا الأطفال
العمل لا العمال
السياط لا السجناء
السروج لا الفرسان
الحلبة لا المصفقين
الأمواج لا المنقذين
الحرية لا الأحرار
الثورة لا الثوار
و الأوطان لا الشعوب

و أحب وطني بلا حدود و خرائط و فنادق و خنادق و مدارس وجمارك و مخافر
و مياه إقليمية أو مجال جوي بل بروقاً و رعوداً و عواصف ثلجية
وسماء ملبّدة مكفهرة على مدى النظر!!
لأخاف منه و عليه!!

-٣٨-

من يصمم لي ثياب الحرب
مع الأشلاء و حمامة السلام فوقها ؟
ثياب الركوب مع الحذاء الطويل و البنطال المنتفخ و فرقعة الصوت على الجانبين ؟
ثياب الغابات مع طيورها و مواعيد هجرتها و عودتها ؟
ثياب السهرة مع أزيائها و غلايينها و انحناءاتها و شيكاتها والشخصيات التي سأقابلها ؟
ثياب الاستحمام مع عطورها و مناشفها و أحواضها ؟
لأنني سأخرج عارياً إلى الشارع مثل أرخميدس دون أن أنبس ببنت شفة ،
لأنني لم أجد شيئاً يجب إعلانه لا في الحمام و لا بين المناشف و لا في أي مكان آخر .

ثم ثياب فلسطين مع خريطتها و توابيت شهدائها و ما تبقى من حجارتها و بياراتها و زغاريد نسائها و دموع أطفالها .
مع وجهاء و أثرياء الشتات الذين قرروا عدم العودة إلاّ و هم يرتدون مخيمات لا ثقة من تفصيل بيير كاردان .

-٣٩-

كل قطعاني وسِمت في مراعيها
و كل كلابي عُقِرَت في مرابضها
و كل مياهي سُمِمت في آبارها
و كل طيوري رُقِّمت في أعشاشها
و كل ثيابي فُتِّشت في حقائبي
و كل أعراضي انتهكت في أسرتها
و كل سفني لُغِّمت في بحارها
و كل وثائقي صُوِّرت في أدراجها
و كل قصائدي نُسخت من دفاترها
ليعرفوا السر في كراهيتي للدفء
و هيامي باصطكاك الركب و الأسنان .

*

أيها البرد الوقور . . يا جدي
لن أشعل حطباً أو ناراً
و لن أستعمل غطاءً أو فراشاً
حتى لا يدب الخلاف بيننا
و تشمت بنا شركات النفط و مشتقاته و معلقاتها الاقتصادية والثقافية والدينية و الفنية والرياضية و العاطفية و الجنسية . . . . . .

-٤٠-

السحابة تتقلّص و تنبسط في السماء و لا تريد أن تهطل على أية أرض عطشى و هذا من حقها .

و السهم يتكور و يتمدد في قوسه و لا يريد أن يحقق إصابة لأحد و هذا من حقه .

و البذرة تنبض حتى تكاد أن تهلك داخل ترابها و لا تريد أن تنمو في هذه المرحلة و هذا من حقها .

و القمر يختفي و يظهر بين الغيوم و يكبر و يصغر في مداره ولايريد أن يشرق فوق أي عاشق أو حبيبة و هذا من حقه .

و الأغنية تدور على نفسها و تختبئ في البلعوم و بين الأسنان ولاتريد أن تشنف أذن أحد و هذا من حقها .

و البرق البعيد يلمع و يخبو في مكانه و لا يريد أن يضيء الطريق أمام أحد و هذا من حقه .

و الرعد يعلو هديره و ينخفض فوق البيوت و الأكواخ فهو لا يريد أن يوقظ أحداً و هذا من حقه .

و الفجر يتقدم و يتراجع في مسيرته فهو لا يريد أن يعطي الأمل لأحد و هذا من حقه

و الرسل يجتمعون و يتداولون في صوامعهم و معابدهم فهم لا يريدون لأحد أن يؤمن بشيء بعد الآن و هذا من حقهم .

و الشوارع و الأرصفة تتقلص و تنبسط و تبعد عنها الأقدام والعجلات فهي لا تريد لأحد أن يصل إلى أي مكان وهذا من حقهم .

و ما ذنب الشعر و الحب والفن و البطولة بعد كل هذا ؟

-٤١-

مهزلتي التي أعشقها و لا تقبل النقاش
كنظرية فيثاغورث و الجاذبية الأرضية!
هي التي قضيت حياتي في استحضار موادها و عناصرها
حتى أصبحت جزءاً من كرامتي و إبداعي و إنجازاتي
و ينبوع مبادئي التي أبشر بها .

*

لقد سهرت الليالي في إعدادها
من الحب
و الحنين
و البغضاء
و الطفولة
و البراءة
و التواضع

و عزة النفس .

*

إنه الصنوبر الحبيب في الغابات المجاورة
و الشدو البلبلي للقفص و الغابة
بل عتاب طويل في الساحة الحمراء
تحت ثلوجها و أمطارها
مع أركانها حول الفرز الطبقي و الاجتماعي و الثقافي و عطلة نهاية الأسبوع
و النسيم الذي قُدّ من الصخر .

-٤٢-

هناك دائماً مسافة من الأفق المهان
بين الكلمات
و الشفاه
و الأوتار
و الأظافر
و الأشجار
و الطيور
و الزهور
و الأعشاش
و الموائد
و الأرصفة
و العجلات
و كان الله في عون

من ترسو عليه قرعة العقاب
لأن الوجود البشري في الأصل
هو إهانة ، بل صفعة
على وجه الطبيعة البتول
أظن أن المسيح و من المسمار الأول على الصليب
شعر بالندم!

-٤٣-

اشتقت للفراغ
للتثاؤب
للبرد
للعطش
للجوع
للحزن
للوحدة
للجنون
و تحطيم المقاعد و إتلاف الأشرطة و تمزيق الستائر
و الإخفاق في كل شيء
و إخفاء وجهي و دموعي بيدي
طالبا معونة الله دون وضوء أو إيمان!!
سنية . . .

أيتها النخلة البسيطة
تعالي و شاركيني كل ما أنا فيه
و إحصاء الهدايا و الألقاب و مصادرها و امتيازاتها
حتى أوراق الغار أستعملها كمنكه للطعام و الحساء
أين أنت ؟
أين ذلك الأمل العابر بين نهديك كالسراب ؟

-٤٤-

أعطيتهم يدي فطلبوا ذراعي
ثم كتفي
ثم رأسي
ثم صدري
ثم خصري
ثم قدمي
ثم حذائي
ثم الأرض التي أقف عليها
بعد تزفيتها!!

-٤٥-

محاولة أخيرة

أريد أن يكون وجهي مسطحاً كأرضها
و أسناني متفرقة كغيومها
و دموعي غزيرة كأمطارها
و رائحتي نفاذة كمستنقعاتها
و مزاجي متقلباً كفصولها
و كرامتي غامضة كضبابها
و دفاتري بيضاء كثلوجها
و أحلامي وهمية كإنجازاتها
و ثيابي مرقعة كجدرانها
و وجهي محفراً كطرقاتها
و تنهداتي طويلة كحدودها
و سأرتدي ألواناً من الثياب
بعدد أنهارها و طوائفها و خلفائها .

-٤٦-

المهندس كافكا

- أريد أن أعرف أين أقيم و مدخل البناء من مخرجه و شرفاته من مناوره و لماذا لا أستطيع استملاك شبر واحد فيه ؟

- لأنه في أرض زراعية .

- أرض زراعية ؟ و لا أرى شجرة على مد النظر ، بل أشتهي التفاحة ،البصلة فلا أجدها .

- بصراحة إنها أرض صناعية .

- عظيم ، أين المعامل و المصانع ؟ و لماذا نستورد حتى الشقاب والمفاتيح ؟

- بل وقف إسلامي ،

- وقف إسلامي ؟

- أين الله و رجال الدين ؟ و بنات الهوى في كل مكان!

- منطقة مستشفيات .

- و لماذا وزير الصحة يعالج في الخارج ؟

- منطقة سياحية .

- و لماذا كل هذه الحاويات و القمامات المبعثرة ؟

- منطقة سفارات .

- و ماذا يفعل أدباؤنا فيها حتى الفجر ؟

- منطقة ملاعب .

- و لماذا لا نكمل مباراة مع أي فريق إلاّ و يطرد نصف لاعبيه ؟

- أخشى إن ظل مستوانا الرياضي على ما هو عليه أن نطرد من مجلس الأمن و الأمم المتحدة

- بصراحة ، منطقة عسكرية .

- عظيم أين فلسطين ؟

-٤٧-

الثلوج تتحداني
و العواصف
و الوديان
و الحقول
و الصخور
و المستنقعات
و الشعر
و النثر
و كل ما يكتب و يقرأ و يسمع
و أنا أرفع دفاتري مستسلماً
و الكل مغرم بالتمثيل بالجثث
ماذا أفعل ؟

-٤٨-

بأقلام من المطر أكتب
و بعيون من المطر أقرأ
و بقطارات من المطر أسافر
و أوزع هدايا و قبلات من المطر
و أقيم تحت المطر
و لم أر الربيع إلاّ في المتاحف و على طوابع البريد .

-٤٩-

لبعض القصائد دهاليز و ممرات
كبيوت اللصوص و المهربين
أو أسيجة خاصة كالحدائق
أو أبواب على الجانبين كالسجون
أو رائحة نفاذة كأقبية التعذيب
و كلها أحفظها عن ظهر قلب
و أسهب في الحديث لجلسائي عنها
و عن الطقس والفقراء والأغنياء والمواصلات والبترول والحب والإنجاب
والأغنية الشبابية و مطربي هذه الأيام
لأبعدهم بقدر ما أستطيع عما أنا فيه
كأنني أطمر جثة .

-٥٠-

على مسافة آلاف الأميال أحتمي من العاصفة
من الزلازل ؟ أقوم بإجراءات الصيانة و الحماية في كل مكان
من الأوبئة ؟ أجهز صيدلية قرب رأسي
من قدوم الفاتحين و الغزاة ؟ أتصل بسيارات الإسعاف
أتمنى أن أكون رصاصة طائشة
تستقر في أي باب أو جدار
فالخطر لا يعرف العواطف .

-٥١-

قلت للضباب الساخر و المعرقل للجميع :
و ماذا تفعل إذا اختبأت داخل عريشة ؟
ثم إنك عابر كسحابة التبغ في الهواء
و أنت أيها النعاس كفاك تحوماً فوق سريري
لن أنام إلا في الساعة التي أريد
و أنت أيها الفجر كفاك جلبة و سعالاً
لن أستيقظ إلا ساعة أريد
و أنت أيها الشتاء كفاك استعراضاً للقوة
فالربيع بين جوانحي
و أنتم أيها القمر و النجوم كفاكم فصاحة و مساومة
فالشمس في دفاتري
ثم عاهة طبيعية في الوجه و لا لؤلؤة مزيفة في البنك
و أنت أيها الضمير المستتر كالعصفور بين الأغصان
إليك أوكل مراقبة الجميع .

-٥٢-

مهلاً أيها المطر الحنون
لأرتدي معطفي
أيها الثلج المتساقط
لأشعل مدفأتي
أيتها الشمس المحرقة
لأجد قبعتي
أيها الظلام الدامس
لأصل إلى بيتي
أيها الوحي
لأجهز أوراقي
و أنتم أيها اللحادون
لحظة لأعد كفني و أتلو صلاتي
و أنت يا تشايكوفسكي

انصحني بلحن جنائزي لمرافقتي
و أنت يا ستالين . . يا بوشكين
كلمة من تلك اللغة التي تشرّف
كل من يسمعها أو ينطق بها .

-٥٣-

من يسرق اللقمة من فمي
و الفاكهة من أشجاري
و العجلات من عربتي
و الأجراس من دراجتي
و البصمات من دفاتري
و الملاعق من مطبخي
و الثياب من خزانتي
و الأحذية من قدمي
و دموع الفرح و الانتظار من عينيّ
هل ملّوا الانتظار ؟
و تفرّقوا و عادوا كل إلى موطنه الأول
في البحار و الفضاء و المناجم ؟

*

عجيب . .
لقد اتفق العرب
على خيانة كل شيء منذ سنوات
و غيرهم مازالوا مختلفين حول ابسط التفاصيل
لخدمة بلادهم و مراتع طفولتهم!

-٥٤-

كل سفني تحطمت على الصخور
وأتباعي ضلوّا الطريق
ومستقبليّ ملوّا الانتظار
وكل مؤني نفذت
بانتظار ساعة الصفر من الضواري والغربان المحوّمة
ولا صرخة استغاثة
أو راية استسلام
أو بوق انتصار حتى الآن
المحارب الماهر يغمض عيناً ويفتح أخرى
وخدّه على حديد سلاحه
وأنا أفتح وأغمض الاثنتين معاً .

-٥٥-

إن إصراري على حزني أمر لا يناقش
الحزن الذي ينتابنا عندما نلوي شجرة
أو نكسر غصناً
أو نهدم منزلاً
أو نغلق منزلاً
أو نفرّق شملاً
أو نعتقل سكيّراً
أو نتلف قصيدة لا يريد أن يسمعها أحد .

البراري الفاطمية

كانت بشعرها الناريّ المرفوع كقبضة في الأول من أيار
و فمها الذي لا يكاد يرى
و نهديها الملتصقين و المفترقين أبداً كأشرعة الرحيل
و صندوق عرسها
الذي ترجع ملكيته إلى خادم أو أمير قرمطي
و الذي كان منظره يبعث الرعب عند تجار الخردوات
و يأنف حتى الغجر و المتسولون من لمسه أو النظر إليه!
هي مجدي و عاري
وطني و غربتي
لبلا بتي و جداري
تشردي و خيمتي
شهيقي و زفيري
و لذلك كنت دائماً بحاجة إلى صوت الرصاص

أو صمت العائلات المكسورة الجناح
كحاجة الطفل المريض إلى الدواء
لأستحقّ نقاهتي من سيئاتها و حسناتها .

*

و كانت تعتقد أن مشاكل الإنسان والحضارة والتخلف المستعصية
كالجبن
و الخوف
و الغيرة
و الحسد
و مشاكل الصحة و المرض و الركود الاقتصادي
و التلوث و فوضى المرور و انخفاض مستوى المعيشة
يمكن أن تحل بباقة زهور ،
و اطراقة خجل أو حياء مع حمرة خفيفة على الوجنتين

أمام عتبة أي بيت أو قرية أو مدينة أو قارة مشتعلة الأوار . . .
و مع ذلك ماتت و دفنت
و ليس على قبرها زهرة واحدة و لو صناعية!!

إعدام بعوضة

أصابعي مطر
و دفاتري غيوم
و كلما كتبت قصيدة أو مسرحية أو خاطرة
تحلّ محلها أخرى جديدة كما في باليه بحيرة البجع
إنني بحر لا ينضب
و لا يهدأ لي بال
إلا إذا أعطيت و أخذت
و أقدمت و أحجمت
و غنيت و استمعت
و زرعت و حصدت
و عطشت و شربت
و لذلك لا مكان للبعوض في حياتي!

*

و لكنني من جهة أخرى مليء بالصغائر الذاتية و الاجتماعية :
حسود
حقود
نمام
ثرثار
جبان
و لن يهدأ لي بال
حتى أسدّد ما في ذمتي من كل العواقب و الآثار
و لذلك يجب أن أقبل على علاّتي
كأي نشيد قديم أو تصميم بدائي
أو شجرة عملاقة تعترض عقدة مواصلات و قارات .

مستر جيكل و مستر هايد

لا أحب من الفن المعماري أقل من اللوفر و قصر الشتاء ، وكنيسة نوتردام
و من المدن أقل من روما ، و باريس ، و بطرسبرج
و في اللياقة أقل من بيليه و محمد علي كلاي
و من المطربين بأقل من فيروز و عبد الوهاب
و من المصممين بأقل من بيير كاردان
و في الديمقراطية بأقل من بريطانيا و جزيرة موناكو و الدول الاسكندينافية
و في المسرح بأقل من آرثر ميللر و لورانس أوليفييه و سارة برنار
و في السينما بأقل من سعاد حسني و فاتن حمامة و داستن هوفمان و مارلون براندو
و في الشوارع أقل من الصالحية و الشانزيليزيه
و من المنتزهات أقل من صوفر و ضهور الشوير و غابة بولونيا

و من المقاهي أقل من الهافانا و الشام و أبو شفيق
و فجأة . . .
ينتابني حنين لا يقاوم إلى الإسفاف العمراني ، و الفني ، والرياضي ، و الجمالي ، و العضلي ، و السياحي ، و الطائفي
و تشجيع الرذيلة ، و الميسر ، و الفحشاء و المنكر ، و التهريب ، ومطاردة الأحرار ، و المقابر الجماعية ، و التذويب بالأسيد ، و تحريم الديمقراطية و تكريس الديكتاتورية ، و مصادرة الصحف ، و كم الأفواه حتى تهب جميع الطبقات بما فيها الأحزاب و الكتل البرلمانية ، ورجال العلم ، و المال و الدين ، و جماعات حقوق الإنسان و رعاية الطفولة ، والبعثات الدبلوماسية و التبشيرية
بحيث يتوقف عرض أي من مسرحياتي من الجملة الأولى
و أي فيلم من المشهد الأول
و الزاوية الصحفية و هي في المطبعة

و لذلك فان مواعيدي العاطفية و الأدبية مثل مواعيد الطائرات والاجتماعات العربية
و لكن بعد أسبوع أو أسبوعين
أعود إلى حالتي الطبيعية كما يعود الجندي إلى معسكره بعد عطلة حافلة بالسهر و العربدة بين أهله و أحبابه .

مشروع خيانة

أيها الوطن الغارق في التفاهات
لن أنقذك مهما كان عندي من وسائل
فلطالما أسأتَ إليّ
من الرأس حتى أسفل القدم
حرمتني رؤية النجوم
تأمل الأفق
انتظار الفجر
رائحة الخبز
رسائل الحب
هدايا الأعياد
و حتى النوم على الرصيف
كنت تدفعني دفعاً
بجبالك و سهولك و ثرواتك

للجنون

للمصحات العقلية

و معسكرات الإبادة

و أنا أسترضيك

و أستعطفك

و الآن تريد أن أنظف ما تحتك و فوقك من خراب

و قد حذرتك مراراً

بأن الزمن ليس ساعة حول معصمك

أو قبعة على رأسك

أو سوطاً بيدك

أو حاجباً أمام مكتبك

عفواً

ليس عندي وقت أضيعه فعندي موعد هام

مع عاهرة!

و مصابة بالإيدز و الزهايمر .

فمت بغيظك . . .

السيف يكتب
و الصدر يقرأ
و الزمن يمحو كل شيء
تماسكي أيتها المشنقة
و هدئي من روعك أيتها الحبال
و أنتم أيها السوقة و الرعاع
ألم تروا في كل هذا الشرق
معلماً يشنق
في بداية أو نهاية أي عام دراسي ؟
أو ثرياً مجهولاً يستدرج غزالاً برياً
و يغدق الرصاص بين عينيه ؟
أو بطلاً يستسلم في ذروة المعركة
من الضجر ؟

إنها أغنيتي و ليست أغنية اليوت
و أعراسي و ليست أعراس لوركا
و حقولي و ليست حقول غوغان
و متاهتي و ليست متاهة كافكا
و كبريائي و ليست كبرياء بايرون أو المتنبي
إنهم يسلبونني كل شيء في وضح النهار
و أنا أكره الخريف المزاود
سأكتب كتابي عليك بالمطر
و أعقد قراني كربطة العنق أو هدية بابا نويل
إنها أساطيري و نبوءاتي
سلاسلي و آفاقي
و أنا حر بها .

كلما أنهيت دفتراً و فتحت آ خر
أرتبك كأنني أنتقل من فصل إلى فصل
أو من منزل إلى منزل
أو من بلد إلى بلد
وبصقت على التماثيل الراسخة
و المدافع المصوّبة
و الطلقات المحكمة
و العضلات المفتولة
و الريح العاصفة
و الإقدام
و الشجاعة
و الالتزام

و تعاليم البقاء و الفناء .

. . .

على ارتفاع الأسعار
و سوء الطالع
و الأدوية الفاسدة
على فوضى المرور و الهبوط و الإقلاع
و لم أفعل ذلك مع أية قصيدة
حتى لو كانت فاشلة!

*

في ليالي البرد
و الجوع
و القهر
و الذلّ

و الإدمان
و الإهمال
و المطاردات
في الأقبية و الملاجئ
و في المقابر و الحاويات
من وقف إلى جانبي
غير : الشّعر ؟
و لذلك لن أتخلى عنه
مهما كانت صحبته مملّة و مضنية و مقرفة .

أيها التايمز الجميل هذه ليست أغنيتي
أيتها البحار الهائجة هذه ليست سفني
أيتها الجبال هذه ليست مغاوري
يا قطار الشرق السريع هذه ليست حقائبي
أيتها الصحراء هذه ليست مضاربي
يا حسن الصبّاح هذه ليست قلاعي
أرخميدس هذه ليست اكتشافاتي
نيتشه ليس هذا جنوني
كافكا ليست هذه متاهتي
أيها الاسكندر هذه ليست فتوحاتي
أيها المحققون هذه ليست اعترافاتي
أيها اللحّادون هذه ليست مقاساتي
أيها المسيح هذا ليس صليبي

أيها المهدي المنتظر لست بانتظارك
موسى هذه ليست سينائي
هرتزل هذه ليست أرض ميعادي .

ورد و قمامة

-١-

ما علاقة هذا الأفق الأزرق اللامتناهي
بقيام دولة كردية في الشمال أو شيعية في الجنوب ؟

*

و أزهار الخوخ الحمراء
بعودة المفتشين الدوليين و تنفيذ قرارات الأمم المتحدة أم لا ؟

*

أو خراف المراعي الخضراء و أجراسها الأليفة
باتفاق أوسلو أو مدريد ؟

*

أو هذا الأرنب السارح في مساكب الجزر
بمناورات حلف الأطلسي أو وارسو ؟

*

و هذه الدجاجة الراقدة على بيضها بكل فخر و حنان

بمصالح هذه الدولة أو تلك في المنطقة ؟

*

أو هذه اليمامة التي تبني عشها قشة قشة على حافة نافذة
بقرارات الجامعة العربية و انعقادها على مستوى السفراء أو
المندوبين أو الطهاة و السائقين ؟

*

و هذه النحلة المنصرفة بكليتها لجمع الرحيق وردة بعد وردة
بمبادئ هذا الحزب أو ذاك التنظيم ؟

*

و هذا الصقر المحلّق في كبد السماء
ما علاقته بميزانية أوبك ؟
أو إذا كان مقرها فنزويلا أو ماليزيا ؟

*

و هذا السمكة اللاهية بين الأشرعة و الأمواج
ما علاقتها برفع التمثيل الدبلوماسي أو خفضه بين هذا البلد أو ذاك ؟

*

ما علاقة بلبل يغرد على فننه
إذا كان التسجيل المنسوب إلى ابن لادن صحيحاً أم مزوراً ؟

*

ما علاقة خلد في وكره بانهيار الإتحاد السوفييتي و صحة البابا
وأحداث ١١ أيلول ؟

*

-٢-

و هذا الينبوع المتدفق في السفوح و الوديان
ما علاقته بجائزة نوبل إذا كانت بريئة أو مشبوهة ؟

*

و القمر في غابته
و السنجاب على شجرته
و الضفدع في بركته
بقضية لوكربي أو حسن الترابي أو تعريب المصطلحات الأجنبية
أو إلغائها ؟

*

اعذروني أيها الفقراء
أيها المشردون
أيتها الطيور
ما من شيء بمنأى عن الآخر

النزول على القمر
أقمار التجسس
الدلافين الملغومة
ثاني أوكسيد الكربون
غاز الأعصاب
غاز الخردل
الجمرة الخبيثة
الأسلحة التقليدية
أسلحة الدمار الشامل
الذبذبات الكهربائية
الكهرطيسية
الحروب القذرة
القنابل الباليستية

الإشعاعات النووية
أشعة الليزر
العامل البرتقالي
الألغام الأرضية
الحرب الجرثومية
حرب العصابات
حرب النجوم . . .

و لذلك كل جندي أميركي يجب أن لا يعود براً أو جواً أو بحراً
إلى بلاده سليماً معافى إلاّ إذا كان زنجياً أو مهاجراً مغلوباً على أمره .

الحلزون الجهنمي

لا . . .
لن أضع رأسي حيث يضعه الآخرون
مثل الشهيد عدنان المالكي
في أرقى شوارع دمشق
بقبعة و سيف بيدي و نياشين على صدري
حتى أعرف من صرعه في ريعان شبابه
و قلب المنطقة عاليها سافلها
و جعلها تتدحرج بكل طاقاتها ومواردها وأحزابها ومثقفيها ومطربيها
صعوداً و هبوطاً
يميناً و يساراً
من جبل إلى هضبة إلى سفح إلى نفق
إلى كامب ديفيد
إلى أوسلو

إلى صبرا و شاتيلا
إلى قانا
إلى مدريد
إلى ابن لادن
إلى علي الكيماوي
إلى علي الديك
و رسم خريطة جديدة
لنا و للعالم أجمع
لن نكون أكثر من جدار لتعليقها
أو بعوضة على إطارها .

سفر بولك

أيتها التفاحة الهاربة من الإصلاح الزراعي
و القطة الهاربة من جمعية الرفق بالحيوان
و النسيم الهارب من جمعية حماية البيئة
و النشيد الهارب من مدرسة الإعداد الحزبي
و اليافطة الهاربة من إحدى المسيرات
و العشب الهارب من الملاعب الرياضية
و السجاد الهارب من صالات الشرف
و الطيور الهاربة من الخطوط الجوية
و الصنوج الهاربة من نقابة الفنانين
و العصا الهاربة من إصلاحيات الأحداث
و المناديل الهاربة من مراثي الشهداء
و الأوسمة الهاربة من الصدور و الأكتاف
و الصلوات الهاربة من جيوب المقرئين و المشيعين

تعالوا إليّ
و تجمعوا حولي في هذه الليلة الموحشة
فلي معكم حديث طويل و مستفيض
كدجلة و الفرات و النيل و اليرموك
قبل أن يجفوا و يلحقوا ببردى القائد .

أبجدية الضباب

بصلاة
بشتيمة
بريح باردة
بنسيم عليل
بنميمة
بلقمة
بسعال
ببصقة على أي شيء
ثم أعتمد طريقي نحو ما أريد
طريقاً عاماً أو خاصاً
طويلاً أو قصيراً
هذا إذا كنت أريد تحقيق أي شيء .

*

و لا أحب أن أعثر أو أفقد شيئاً في طريقي
هذه جذوري و أغصاني .
ليس كل ما هو متقن جميل
بل كل شيء مربك كاسم الله في غير زمانه و مكانه .

*

إن قررت الانضمام لحزب أو الانسحاب منه
الاستقرار في مكان أو التشرد
البراءة أو التشكك
كانوا يضربونني على أصابعي التي أكتب بها
و على أنفي الذي أتنفس منه
و على أسناني التي آكل بها
و على ظهري الذي أستند به
و من ؟

حثالة الشعر و النثر و المسرح و الإيمان بأي شيء .
و كانوا يعترضون طريقي حتى في الأمور البسيطة
كتسريح الشعر
و تعليق الثياب
و لون الحذاء و القبعة و ربطة العنق
و كانت ضرباتهم مرعبة و متقنة كضربات المحترفين
و لكنهم فشلوا في معرفة مصدر صوتي و أنيني
و كنت أنا لا أعرفه
لأن كل شيء تريد أن تعرفه تفقده
و كلما كشف النقاد و المتابعون
أي حكمة أو مزية أو هدف فيما أكتب
أشعر بالخوف والعار .

بردى . . .
كل هذه القصائد و المدائح و أفواج السياح و المصورين و زغاريد النوافذ بمبادرة مني وعلى مسؤوليتي
و لا كلمة شكر أو امتنان ؟
بل بالعكس . . .
كل البيوت مضاءة إلاّ بيتي
و كل الأشجار مثمرة إلاّ أشجاري
كل الطيور مغردة إلاّ طيوري
كل السحب ممطرة إلاّ سحبي
كل الأبواب تقرع إلاّ بابي
لم لا تختمه بالشمع الأحمر و تريحني ؟
و هو موجود عندي بكل الأنواع

لأنني أصلاً لا أملك إلاّ الشموع و الدهاليز!!

*

و مع ذلك لو انصرف عنك الجميع
لن أفارقك كما تتصور
و سأبقى معك وجهاً لوجه
لا كعاشق بل كمحقق
كما فعلوا معي من قبل
على مرأى منك و من ضفافك
سأنزع أعشابك واحدة واحدة كالأظافر
و أحرق ضفتيك بأعقاب اللفائف
و أنا مدخن شره كما تعلم
و لن تنجدك " دمشق "
و لن تفتديك بحصاة من أرصفتها

و ماذا فعلت لك عندما جف ماؤك و تكشف قاعك الموحل الخجل أمام الغادي و الرائح ؟

*

بردى . . .
أيها الحسين المتناثر هنا و هناك
سأستردك من النوافير والصنابير والأقداح وقدور الحساء في المطابخ
و مطرات الجنود في المعارك
و غرف الإغماء و الإنعاش في السجون و المستشفيات
لأرد لك اعتبارك على طريقتي
و كما يريد شوقي و الأخطل و نزار و سعيد عقل
لا أصحاب و زبائن المرابع و الزرائب الليلية!
و لن أحرمك من هذا الزهو أبداً . . .
و لكن كيف أمددك لتأخذ راحتك

و في أي اتجاه سيكون رأسك المعشوشب الجميل ؟
على صدرها ؟
أم على قدميها ؟

غضب الوالدين

لا أستطيع أن أسجل أسماء أعدائي على قبضة السيف فهناك أعداء الطريق
كذلك لا أستطيع أن أسجل على الهامش ماذا سأكتب ؟
حذار قصائد الظلام
القصائد المجنونة المداهمة المعرقلة المستهترة
كما أن هناك القصائد الزرقاء لنقل الأمواج الهرمة إلى مرافئها و شواطئها البعيدة
و الحمراء و الخضراء و الصفراء لاستقدام الربيع في الحروب
و الرمادية لتعزية الغربان
فحتى الغربان لها مآسيها و مناحاتها
إذ ماذا سيحل بالعالم لو عمّ السلام ؟
ما هو مصيرها غير الانقراض ؟
كما لا أستطيع أن أسجل على كعب حذائي الأماكن التي سأصل إليها ؟

و بمن سأمرّ و ألتقي ؟
و من سيتابع معي أو يتخلى عني ؟

*

ثم هناك قصائد الشرف فهي أكثر خطراً من جرائم الشرف
فهناك لم الجازمة
و لا الناهية
و ما الزائدة
ناهيك عن الحروف التي لا عمل لها . .أي المتسكعة
و سين التسويف
و اللام المتزحلقة
و هناك دموع الخنساء و سلاسل زنوبيا و أفعى كليوباترا و سيوف
الزير و عنترة و الحجاج و الشمر و ابن ملجم
دون شعرة معاوية!

مشــــوار

كل من هم على شاكلتي
فليتبعوني دون تمويه أو لفت نظر
فنحن مجرمون بالفطرة
رماحون أمام عدسات التصوير
على خشبة المسرح و على الشاشات الصغيرة و الكبيرة
رماحنا . . . أقلامنا
و قصائدنا . . . زهور قبورنا

*

و قبل الدفن
لا تسيروا في الظلام الدامس
كمشوهي الحرب أو الدم أو الطلاء أو الحبر أو الجواسيس
استخدموا أعواد الثقاب
المصابيح اليدوية
فوانيس الأزقة

شموع المعابد
عيون القطط
نار التدفئة
و جمر الكستناء
فالنجوم لم تعد هي أيضاً صالحة للاستعمال البشري

*

و مهما كانت الحفر عميقة
و الظلام دامساً
و الضباب كثيفاً
سأرى ما أريد رؤيته
و أصل إلى ما أريد الوصول إليه
فمنذ عصر الانحطاط
و أنا أترنّح مبسوط الذراعين
و لم أسقط حتى الآن .

تداعيات فرعونية

العالم لا يحب أمتي
و أمتي لا تحب وطني
و وطني لا يحب مدينتي
و مدينتي لا تحب قريتي
و قريتي لا تحب حارتي
و حارتي لا تحب بيتي
و بيتي لا يحب غرفتي
و غرفتي لا تحب سريري
وسريري لا يحب وسادتي
و وسادتي لا تحب رأسي
و رأسي لا يحب جبيني
و جبيني لا يحب قصائدي
و قصائدي لا تحب أصابعي

و أصابعي لا تحب بعضها !

*

و الكل يرى فيّ قلعة صامدة
و طوداً شامخاً في وجه الزمن
و لا يرى الكوخ المتداعي في أعماقي !
و الكل يسمع الصهيل و صيحات الوغى ،
و يرى نقوش السرج ،
و غبار الحوافر السابحة في الهواء ،
و لا يرى قدمي العالقة في الركاب !

الغواب

كتبت عن السلام فاندلعت الحروب
عن النظام فعمّت الفوضى
عن البطولة فتفشّت الخيانة
عن الأمل فزادت عمليات الانتحار
عن زيادة الإنتاج فانخفضت معدلات النمو
عن تنظيم الأسرة فغصّت الشوارع بالجانحين و المنحرفين
عن الحب فزادت عملية الطلاق و الإجهاض
عن البيئة فدفنت النفايات النووية بين المنازل
عن الصمود فغصّت السفارات بطالبي اللجوء السياسي والاقتصادي و الجنسي و الديني
يبدو أنني طوال هذه السنين
ألقي مرساتي و أنصب شباكي
في البحر الميت !

من الوصايا العشر

إنني أتون من اللهب
و أريد جوقة شرف
على ألاّ تقترب مني كثيرا
حتى لا أحوّلها إلى رماد .

*

عاصفة ثلجية
على جميع الطيور و حيوانات الغابة
أ ن تلزم مخابئها و كهوفها
حتى لا أجمّدها في العراء .

*

شمس ساطعة
و على ذوي العاهات الخلقية و الجسدية
أن يتواروا عند شروقها

حتى لا أكشفها و أعرّيها
أمام السياح و الغرباء .

*

إنني ناقوس مزاجي خطر
لا أعرف متى أدق و متى أصمت
فعلى العائدين مخمورين إلى بيوتهم بعد سهراتهم الاقتصادية أو
النضالية الطويلة أن يدفنوا رؤوسهم عميقا تحت الأغطية و الوسائد
لأجنبهم الصرع أو القفز من النوافذ .

*

جندي محترف
إذا أبليت في معركة ضروس في الداخل أو الخارج
و رجعت بسببها مكبلا بالسلاسل
ارفعوا المصاحف على رؤوس الرماح

و تذكروا ما قاله الله فينا عندما خَلقنا
ثم لماذا خلق كل الشعوب من علق ؟
ثم تطورت حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن
و نحن مازلنا في مرحلة الضفادع .



عدسات لاصقة

ـ : كم أتمنى لو أن الكتابة حرفة عاديّة كالحدادة و النجارة والخياطة تؤخذ رخص بها و بمزاولتها و أسعارها من وزارة الداخلية أو الصحة أو التموين .

بحيث أفتح و أغلق دفاتري في مواعيد محددة و أكتب المقالة أو المسرحية أو القصيدة حسب طلب الزبون كالحذاء أو القميص أو السروال

و أعود إلى بيتي و أغيّر ثيابي و أنام مع زوجتي و أطفالي على جنب واحد حتى الصباح .

❋

كلما كتبت كلمة خسرت صديقاً
و كلما زرعت شجرة يبست غابة
و كلما حصدت سنبلة جعت دهراً

و كلما طمرت حفرة فتحت هاوية .

❋

ما علاقتي بالبرد و السياط و تحاشي الصفعات
بالقهر و الجوع و الوحدة
بالرقابة و الأضابير و الملفات و الملاحظات
و جمركة الكلمة و تعقب الأزهار
و الاختباء في الحاوية و دورات المياه
ما علاقتي بالسياسة الداخلية و الخارجية
باليمين و الوسط و اليسار
و الحرس الثوري و القومي و الجمهوري و حرس فلان و فلان و فلان . . .
بالفتن و الحروب الطائفية و الإقليمية
و الانتخابات المزورة و الدعاية لفلان و التعتيم على فلان

و بالخمر و التبغ و المهدئات و المسكنات و المنشطات
بتشمع الكبد و التهاب المفاصل و طنين الأذن و اصطكاك الركب و الأسنان
بالعمل الفدائي و الحرب العراقية و الأفغانية و الشيشانية و حرب النجوم
ـ : كل العلاقة!
تعرف أنه مغناطيس ووضعت برادتك بجانبه
بحيرة تماسيح و ألقيت بنفسك فيها
فانهض يا صلاح الدين !

جريمة موصوفة

سألت الشمس و القمر و النجوم شعاعاً شعاعاً
و الجبال كهفاً كهفاً
و البحار موجة موجة
و الطيور ريشة ريشة
و الربيع زهرة زهرة
و الصحراء نخلة نخلة
و الشعراء قصيدة قصيدة
و المتاحف لوحة لوحة
و الثورات رصاصة رصاصة
و الفلاسفة صومعة صومعة
و العشاق قبلة قبلة
لم كل هذه السلسلة من الثورات و الاضطرابات و الدماء التي لا تنتهي ؟

لماذا تمرّد سبارتاكوس و كرومويل و الزنج و القرامطة ؟
و أُعدم انطون سعادة و لوركا و دانتون و ميرابو و ماري أنطوانيت ؟
و انتحر همنغواي و لوتريامون و خليل حاوي ؟
و ألحد ماركس و أمنت جان دارك ؟
و استشهدت سناء محيدلي و خالد الأزرق و بشير عبيد و كمال
خير بك ؟
و جُنّ هتلر و نيتشه و فان كوخ ؟
و اعتزل شارلي شابلن و لورنس العرب ؟
و تشرّد رامبو و غيفارا ؟
و خان عزرا باوند بلاده ؟
و هام أبو النواس على وجهه ؟
ألأنهم استعجلوا أم عرفوا ؟

عنترة يتخلى عن لونه
و عطيل عن غيرته
و معاوية عن دهائه و شعرته
و الجواد عن حوافره
و الضباب عن غموضه
و الجلاد عن سوطه
ثم ماذا يغني هذا العصفور ؟
و ماذا ينشد هذا الملاّح ؟
و يثرثر ذلك النهر ؟
و على ماذا يتهامس
المارة
و السائقون
و الحمالون

و العاطلون عن العمل ؟
و الوطن يهذي :
(حدودي ، جبالي ، كهوفي ، شوارعي ، فنادقي ، أرصفتي ،
أسعاري سمائي ، بساتيني ، شواطئي ، مدارسي ، طلابي ، أوسمتي ،
تماثيلي ، أشجاري ، طيوري ، وغباري ودخاني) .
بما ذا يتعهد له الغجر ؟
و ماذا تدعي طواحين الهواء ؟

ابن سينا في مشفاه

سنابل حمراء متصالبة
كإشارات منع المرور أو التدخين
ماذا وراءها ؟
طبعاً ليست الطيور المغردة و الحدائق الغناء
بل الشقاء المنتهك لكل الحرمات و المتربص
بكل شاردة و واردة على مر العصور

*

لو تعرف الزهرة مصيرها بعد أن تقطف عن غصنها
و النحلة الشغالة بعد أن تكل أجنحتها و يضعف بصرها
و الكلب عندما يفقد فراسته و حاسة الشم لديه
و الجندي عندما تهتز يداه و لا يميز بين الصديق و العدو
و تفقد الغانية سحرها و عشاقها
و القطيع شهيته و راعيه

لو عرف الجميع ما ينتظرهم على الشاطئ الآخر
لما صعد صياد إلى مركب
و لما ذهب تلميذ إلى مدرسة
أو فلاح إلى حقل
أو عامل إلى مصنع
أو جندي إلى معركة
أكبر عقاب لنا هو ذاكرتنا
فلو كان جارنا الحداد يعرف مصيره بعد دقائق
لما جادلني ساعات حول تركيب صنبور أو تسليك بالوعة
و لكن الحداد يجب أن يأكل و أولاده يجب أن يأكلوا
و كذلك الجندي
و الخياط
و الدهان

و الراكب
و السائق
و المطرب
و المستمع
و بواب الفندق
و صاحب الفندق
و نزلاء الفندق
و الغيوم تشح
و الأرض تبور
لقد صارت الأسنان . . .
أكثر من السنابل!

الاسم : محمد أو عيسى أو موسى حسب الظروف في المنطقة أو العالم .

الطول : حسب الجهة التي أقف أمامها في تلك اللحظة .

الجنس : حسب فراسة المختار و أمين السجل المدني .

الهواية : التثاؤب .

الحالة الاجتماعية : متزوج و متأهل من القضية .

التابعية : جمهورية أفلاطون الشعبية الديمقراطية العربية الافريقية العلمانية المحافظة المتحدة العظمى أو جمهورية فرحات ليوسف ادريس .

مكان الإقامة : أي رصيف أو حاوية عليه .

السن : محير .

البلاد التي زرتها : سجن المزة ، القلعة ، الشيخ حسن ، تدمر ، الرمل ، المية و مية

تزمامارت ، أبو زعبل ، أبو غريب .

عدد العيون و الآذان و الأسنان : حسب مراكز التحقيق و للدولة واحد و خمسون بالمئة من عددها كأسهم الشركات الرسمية .

الطعام المفضّل : الأحلام .

العنوان الألكتروني :

شرق عدن

غرب الله!!

أنا أحب أن أنام و النافذة مفتوحة
و زوجتي تريدها مغلقة
إنها تريد أن تحدث وقيعة بيني و بين قصائدي
و تشعل ناراً طائفية بيني و بين أحلامي
و راجعت قيس و ليلى و جميل و بثينة و عروة و عفراء و ديك
الجن الحمصي و حسن و نعيمة
فنصحوني بابن خلدون و أبو العتاهية و ابن سينا
فنصحني هؤلاء
بشوقي و علي محمود طه
و كامل الشناوي
و هؤلاء نصحوني
بالسياب و إقبال
و جبرا و لميعة

و توفيق صايغ و المجهولة ك
و نزار و بلقيس
و عاصي و فيروز
و ميشيل طراد و جلنار
و هؤلاء نصحوني
بمختار الحارة و أهل الحل و الربط فيها
و هؤلاء حولوني للمجلس البلدي
و المجلس البلدي طلب مني التريث للدراسة و التمحيص
و في هذا الزمن الضائع
رحت أضرب أخماساً بأسداس
و تركت عملي و أطفالي و ألغيت مواعيدي و ارتباطاتي
و لم أعرف حتى الآن إذا كانت قضية نفسية أم عقلية
عاطفية أم اقتصادية

تاريخية أم جغرافية
عربية أم أعجمية
طائفية أم علمانية
صيفية أم ربيعية أم خريفية
إلى أن وجدت نفسي في سجن مغلق ما عدا البواليع
و يبدو أنه لم يكن هناك وقت ضائع و لو لحظة واحدة!

توسل استراتيجي

و أنا أتربع وراء مكتبي في قاع المجتمع تناهت إلى سمعي أصوات
متنافرة من كل حدب و صوب
الشوارع :لا تنظفنا
الزجاج : لا تمسحنا
الأشجار : لا تسقنا
الجياع : لا تطعمنا
الخونة : لا تبرئنا
الشهداء : لا تدفنا
المشردون : لا تؤونا
الأطفال : لا ترضعنا
الجرحى : لا تسعفنا
السنابل اليابسة : لا تحصدنا
الشوارع المظلمة : لا تضئنا

فوضى المرور : لا تنظمنا
المنتحرون : لا تنقذنا
المضطهدون : لا تنصفنا
السجناء : لا تطلقنا
الأراضي المحتلة : لا تحررنا

*

قل للثوار العرب أن يدعونا و شأننا .

الظلام المراهق

من قال لك إنني غير سعيد يا حبيبتي ؟
هل شكوت أو تذمرت من شيء ؟
الضجر
الزكام
تبدل المناخ
غربة الأحباب
تردي الخدمات
فقدان الأدوية . . الرسائل ، الأصدقاء
فوضى المرور
ضجة الشوارع
الحاويات المقلوبة
القطط و الكلاب الشاردة
رائحة الفم عند الصباح

جرائم الشرف
بعد النجوم
اختلاط الفصول
هل نسيت لك موعداً أو هدية من قبل ؟
كل ما هنالك أنني شمعة عجوز أضاءت كثيراً
و لم يبق لها إلاّ الرماد و الذكريات .

بالمطر أحيانا و بالحب دائماً

أيها الوطن العاقّ
تعرف كيف كنت و كيف أصبحت على يدي
كنت مصدوراً
فعالجتك و قضيت على سعالك إلى الأبد
بالموسيقى و تغريد الطيور
كنت قذراً
فغسلتك سبع مرات كالكعبة
وجففتك بالسجع و المعلقات
و حتى لا تعطش بنيت سد مأرب و أسوان و الفرات
و حتى لا تجوع بنيت العنابر و الاهراءات
فوق الأرض و تحتها
و حتى لا تتشرد
بنيت لكل دجاجة قناً مهيباً كالعرين

و لكل غانية مذبحاً و معبد تكفير
علمت غيومك آداب الهطول
و كلابك الشك بكل قريب
و قططك الغادرة الوفاء لكل غريب
و جيادك الصهيل و الحمحمة في زمن الحرب و السلم
و وحولك الابتعاد عن طريق العشاق
و غبارك التردد أمام أعين الأطفال
و السكارى قواعد الترنح و الهذيان
و غربانك تقاليد و مواعيد النعيب
و قطعانك عدم التدافع في الذهاب و الإياب
من الحقول و الحشائش في أفواهها
حفاظاً على كرامة عابري السبيل .

أدراج الرياح

على سلالم الغيوم الرمادية و الزرقاء و الحمراء و النارية
بدأت الصعود على
الطموح
الصبر
الحذر
الخبرة
العلم
المعرفة
الطفولة
البراءة
الحنان
الربيع
الخريف

الوعي
الإلهام
الكتب السماوية
الأساطير
الصمود
الصخور
الجنون
الإصرار
الخيال
الثقة المطلقة بالنفس
فلم أصل إلا إلى الفراغ . . .
لأن الخطوة الأولى
كانت على الشعر !

إغفاءة العصر

صباح الخير أيها الحزن
أيها الفرح
أيها المطر
أيها الربيع
أيها الخريف
أيها الحقد
كلكم تآمرتم عليَّ
و تركتموني جلداً على عظم
أريد من هزمني هزيمة كاملة
من ملأ حنجرتي بالدموع
و ركبي بالثلوج
و جبيني بالكدمات

و غرفتي بالأشباح

*

أريد أن أكون وحيداً في حبي

و عذابي

و كبريائي

و عطائي

و كراهيتي

و سريري .

انحراف وتيرة

كنت مهيئاً نفسياً و طبقياً و جغرافياً و تاريخياً لأصبح :

حداداً

نجاراً

خياطاً

لحاماً

طاهياً

حلاقاً

فراناً

مزارعاً

راعياً

بواباً

مخبراً

جاسوساً!

و لكن ليس نجماً أدبياً تتسابق وسائل الإعلام المختلفة لالتقاط صوره و كل ما يتفوه به في أي شأن من شؤون الحياة .

و يظنون ترددي في الإجابة تعالياً!

و تلعثمي تحضيراً!

و إسهابي عبقرية!

و السماح بالتقاط الصور إلى جانبي و احتضاني تواضعاً!

و الرد السريع على الهاتف نشاطاً!

و استقبال الزوار و وداعهم شخصياً من الباب إلى الباب تشجيعاً!

و سؤالي عن صحة هذا و ذاك مدروساً!

و خروجي بثيابي المنزلية مهما كانت حالة الطقس تنكراً لتفقد أحوال الناس على الطبيعة ، نزوة أو حماقة من حماقات العباقرة!

و أنا لست في هذا الوارد على الإطلاق

و ليس لي علاقة بأي شيء

و إنني كرواد بعض المقاهي و المقاصف الشعبية . . .عندما يستأجرون مائدة عامرة بالفواكه و الفطائر و الحلوى و الزهور و الشوك والسكاكين دون أن يحق لهم تناول أي شيء أمامهم و إنما النظر إليه فقط بالمتباهي أمام من حولهم أو من يحبونهم من بعيد لبعيد استأجرت بعضاً من غيم الوطن و شمسه و جباله و وديانه و غاباته وبساتينه و بحاره و شواطئه و خيراته دون أن يحق لي لمس أي شيء وإنما بالنظر!!

كل هذه الحفر و الاتجاهات و الإشارات في طريقي يجب ألاّ أتعثر
أو أحيد خطوة واحدة !
و كل هذه الأمطار و الأمواج المتلاطمة يجب ألاّ أتبلل بقطرة واحدة!
و كل هذه المستنقعات و العلل و الأمراض و التلوث و الأغذية
الفاسدة و الزيوت المهدرجة و النفايات الكيميائية و النووية و العضوية
والبرد و الرياح و الثلوج العاصفة يجب ألاّ أصاب حتى بالزكام!
و كل هذه الأعياد و الأراجيح و السيركات و الرسوم المتحركة
والدمى النطاطة يجب ألاّ أمرح و ألهو بقفزة واحدة!
و كل هذه المجازر و المذابح و التمثيل بجثث الشيوخ و النساء
والأطفال يجب ألاّ أقطّب تقطيبة واحدة!
و كل هذه المنح و الجوائز و الإكراميات و دواليب الحظ و حتى في
ليلة القدر يجب ألاّ أطلب أو أتمنى لنفسي شيئاً واحداً!

و أن يكون بيتي معروفاً كعلم في رأسه نار
و مجهولاً كبيت خائن أو متسول .
و لذلك أحتفظ دائماً بين دفاتري بما يلزم من قطن و ضمادات
وإسعافات أولية
فأنا لا أكتب . . .
بل أنزف!
لقد أخطأت و تقدم بي العمر . . .

لا ذاكرة للجوع
للقهر
للبرد
للشمس
للنجوم
للحنين
للوفاء
للصخور
و أنت إذا كانت لك ذاكرة أم لا ؟
فأنا لم أفقد ذاكرتي
فللذكر مثل حظ الأنثيين ،
لك قلب
لي قلبان

لك ابتسامة
لي ابتسامتان
لك شامة
لي شامتان
لك دمعة
لي دمعتان
لك قلب
لي قلبان ثلاثة أربعة لي العالم كله
و أنت وريثتي الوحيدة .

شـــرود الرعاع

-١-

السحب و الرياح و الطيور ضائعة
الصيادون و الأسماك و النوارس ضائعة
الجنود و القادة و الأدلاّء و الخرائط ضائعة
اللصوص و السكارى ضائعون
النمل ضائع
الحشرات ضائعة
و أنا أسير مغمض العينين إلى حيث أريد
تهديني رائحة الوطن
ترى هل أحرقته و أنا نائم و اللفافة بيدي ؟
و إلى متى ستدوم ؟ .

-٢-

الأمطار تبللني
و الرياح تلسعني
و الأمواج تبعدني
و الأكفان تطاردني
و الوطن يئنّ و يبكي على مدار الساعة
و أنا كالأم الحائرة
لا تعرف سوى أن تصلّي
و تضمه إلى صدرها
و تستعجل قدوم الصباح
. . .

سوداء كالليل
بيضاء كالبرق
صفراء كالشمع
خضراء كالربيع
حمراء كالغروب
دافئة كالشمس
باردة كالجليد
لأجلك شيّد اللوفر و قصر الشتاء و تمثال الحرية
و نفي نابليون
و انتحر هتلر
و حوصرت عكا و ستالينغراد
و أزهرت حدائق بابل
و دارت طواحين الهواء

و صقلت حراب العرض
و صهلت خيول الترحيب
و رشّ الأرز و أطلقت أسراب الحمام
و غصت القدس و المدينة و ساحة القديس بطرس بالخطاة و التائبين و المصلين
و أنت دائمة بعيدة و وحيدة كنجمة الشمال .

منذ أيام السجون و التظاهر اليومي
ضد سياط الإقطاع و دبابات الاحتلال
كانت بالثياب البسيطة
و الشال المعقود صيفاً . . شتاءً
و الغمّازات الطارئة المهيبة
كعصافير الأديرة
و الصوت الهامس حتى أمام رجال التحقيق
و السعال المرفوض كأية فضيحة حزبية
و حقيبة الزينة التي لا تفارقها إلى أقاصي الأرض
لاعتقادها بأنه حتى ضحايا التعذيب وفقء العيون والتذويب بالأسيد
يجب أن يقابلوا ربّهم و هم في أحسن حال
و في غاية التهذيب و الاعتراف بالجميل .

*

و كانت تتحاشى لون عنترة
و غربة طرفة بن العبد
و قسوة فاتح المدرس
و سذاجة موزارت
و متاهة كافكا
و عاهة بايرون
و مصير لوركا و كمال خير بك
و كل حملة الأكفان الممزقة لتوها .
إنها زنوبيا بلباس الميدان
و جان دارك بقميص النوم .
[illegible] الوردة
[illegible]
[illegible]

و القصيدة
في الظهيرة
إنها باختصار : قصة حب طي الكتمان .
و مهما افترقت عن سنية
بالمأكل و المشرب و الملبس و الطباع
فلا بدّ أن تلتقيا في نهاية المطاف كشفرتي المقص .
أعرف كل شيء لأنني أحب كل شيء
و الحزن المقيم في وجهي منذ الولادة
يرجع إلى عصور الوأد و عذابات الأجراء و أهل البيت .
أما الفرح . . الرضا . . الأمل :
فيسرحون و يمرحون في دفاتري كالخدم في يوم عطلة .

الخطيب : أيها الحضور الكريم نساء و رجالاً شيباً و شباناً أما بعد :
لقد ثبتنا الأسعار و قضينا على البطالة و محونا الأمية و وفرنا لكل إنسان الخبز و الكساء و المأوى و الكرامة في فترة قياسية
و أجرينا انتخابات حرة و سمحنا بحرية الاجتماع و التظاهر وتشكيل الأحزاب و اعتمدنا الكفاءة في كل مجال
و قضينا على الفساد و حدثنا الإدارة و قضينا على مخالفات البناء و أعدنا للقضاء هيبته و كلمته
و حررنا الأراضي المحتلة و أخذنا مقعدنا الدائم في الأمم المتحدة وطردنا آخر جندي أجنبي من بلادنا و صرنا أسرة واحدة و عائلة واحدة و نقيم علاقات متوازنة مع كل دول المنطقة و العالم
كما أحيطكم علماً بهذه المناسبة السعيدة :
إن الشمس تشرق من الشرق و تغرب من الغرب
وهناك أربعة فصول في السنة : الصيف والشتاء والربيع والخريف

و الشمس ثابتة و كل الكواكب الأخرى تدور حولها
ثم : الجبال عالية و الوديان منخفضة
و المطر ينزل من السماء و الينابيع تتفجر من الأرض
و كلها تصب في البحر و البحر يصب في المحيطات
و هناك خمس قارات
و قطبان شمالي و جنوبي
و المربع له أربعة أضلاع والمثلث ثلاثة والخطان المتوازيان لا يلتقيان
و للإنسان خمس حواس
و الثلج أبيض و الفحم اسود و العسل حلو و العلقم مر
والشتاء بارد و الصيف حار و الماء سائل
و هناك أربع جهات للأرض
و ثلث الثلاثة واحد
و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

المستمعون : هل أنت متوضئ؟

الخطيب : ماذا تقصدون ؟

المستمعون : ما نقصده واضح هل توضأت ؟ و تغرغرت و غسلت مرفقيك و ذراعيك و شطفت مؤخرتك براحتيك و سميت قبل أن تفوه بهذا الكلام ؟

الخطيب : لا أذكر .

المستمعون : إذاً وا معتصماه وا ديمقراطيتاه وا فلسطيناه وا عراقاه وا جنوباه وا اسلاماه . . . دمك مهدور مهدور و طريقك مسدود مسدود يا ولدي!

خليفة العصر و رعيته

و العالم يدخل الألفية الثالثة عصر النور و التنوير أعلن للعالم أجمع و على مسامعكم بالذات :

إنني ضد العلم و المعرفة و الأدب و الفن و النور و التنوير

و إنني مزور و محتال دولي و معدوم الذمة و الرحمة و الضمير

و حرضّت الأبناء على الآباء و الآباء على الأمهات و الأحفاد على الأجداد

و حللت الزنى و اللواط و الشذوذ بكل أنواعه و أوضاعه حتى بين الحيوانات و الطيور

و شجعت الرشوة و الفساد و التهريب و المتاجرة بالممنوعات وزراعة وتصنيع المخدرات

و مضاعفة الضرائب و النهب و السلب و التنصت و التجسس والفتن الطائفية و القتل على الهوية و رجم المحصنات و تكريم الفاجرات

و حرمت الديمقراطية و الحياة البرلمانية و كرست الإرهاب والتعيينات العشوائية و تزوير الانتخابات بنسبة ٩٩ و ١٠٠٪ والديكتاتورية و الأحكام العرفية و المقابر الجماعية و التعذيب الجسدي و النفسي في كل زمان و مكان

و حرقت الحقول و البيادر و المؤسسات العامة و الخاصة و طاردت العمال و الفلاحين و الطلاب و المعلمين و باركت الإقطاع و السفلة والأميين و غطيت الشوارع و الساحات بالقتلى و الجرحى و المغتصبات وعرقلت المرور و النجدة و الإسعاف و الإطفاء

و سممت الأبار و الأنهار و البحار و الشواطئ و لوثت الهواء وحرقت الغابات و حفرت الحدائق و الملاعب و المنتزهات

و أطلقت الفئران والجرذان والبوم والغربان في الشوارع والساحات

و ساعدت على انتشار الأوبئة و تفشي الأمراض المعدية و ال... و القاتلة كالإيدز و الطاعون و السفلس و السرطان

و فتحت الطريق أمام المحطات الأرضية و الفضائية للأفلام الهابطة و الأغاني الرخيصة و الأخطاء اللغوية و الجغرافية و التاريخية

و إنني أصوم في رجب و أفطر في رمضان

فما رأيكم دام عاركم يا كلاب يا أمعات يا زواحف يا حشرات ؟

الرعية : و الله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا!

إنني محاصر بوسائل التعذيب
إلى كل شيء أريد الوصول إليه
بمر جبلي شاهق الارتفاع
إلى المكتبة حيث أقرأ
إلى النافذة حيث أطل
إلى الكأس حيث أشرب
إلى الرغيف الذي آكل
إلى المرأة التي أنتظر
إلى السرير حيث أنام
و ليس من حولي سوى الفضاء البعيد
و أصوات الطيور البعيدة
و الملاحين الغرقى
و الصيادين التائهين
و مختلف أنواع الابادة

إذا تقدمت لنجدة أحد .

*

أيتها الأرصفة عانقيني
أيتها الثلوج دثريني
أيتها الريح العجوز
احكي لي قصة الشاطر حسن
و علاء الدين و الفانوس السحري
و لص بغداد و السندباد البحري
و كل الحكايات الخيالية في ذاكرة الشيوخ و الأطفال
و حكايات الحجاج و أبو جعفر المنصور
و الضبع و الضبعة
و الغول و الغولة
التي تعيش بشحمها و لحمها و أنيابها
و أقدامها بين الجميع .

كم أكره لملمة أي شيء :
أطراف الحديث . . العباءة . . الغطاء
حتى لو تحطم تاجي على الأرض
لما لملمت منه شيئاً

*

أنا مع الثراء الفاحش
أو الفقر المدقع

*

البحر
أو الصحراء

*

الليل
أو النهار

*

الرأس
أو الحذاء

*

الشرق
أو الغرب

*

ماركس
أو البابا

*

المقصلة
أو ماري أنطوانيت

*

أحب زبدة الأشياء
أو حطامها .

من ملفات الربيع

يا حزني المقيم و فرحي العابر
لقد رحبت بك
و صافحتك
و تحدثت إليك وجهاً لوجه
في مختلف شؤون الحياة
و كنت قريباً منك
حتى لأكاد أسمع دقات قلبك و رفيف أهدابك
و مع ذلك لا أعرف إن كنت حقيقة أم أسطورة
مدخل قصيدة أو كابوس
و إنني لن أقترب منك
أكثر مما تقترب القبور من بعضها
و نظراتي لن تنال منك
أكثر مما نالت عصافير فلسطين من قبة الصخرة

سأزرعك في دفاتري كآية مستوطنة غريبة عن محيطها
و أرفع يافطةً بكل موعد
و أقود مظاهرة لكل نظرة
و أقيم مهرجاناً لكل لمسة
و أضاعف الأجور و أعطّل الدوائر لكل ابتسامة
و أنكّس الأعلام و أعلن الحداد لكل آهة من صدرك
و عليك أن تتحمليني
كما تحملّت الخونة و الجلادين من شعبك
و هم ينشرون الغصن الذي
أنام و أحلم و أستيقظ عليه .

جنون العظمة

بيدي رزمة من المفاتيح
الشعر ، الحب ، العظمة ، الخلود ،
و لكنني لم أحقق أي نجاح في أي منها
بسبب بطء أو سرعة أو خطأ في الإيلاج أو الولوج
إنني بحاجة إلى مسحة من الغلّ و الحسد
كالتي نراها في عيون اليهود و الشيوعيين و الغزاة المدحورين .

*

بعض الكتب نرجسية كالطغاة
و عدوانية و متوحشة كالصخور
و بعضها وديع و أليف كالريش
و لذلك أعزلها و أفرزها عن بعضها البعض
و لا أدعها تنام في غرفة واحدة
فكيف في درج واحد .

*

لست بحاجة إلى ريشة
لأكتب عن الكبرياء
و لا إلى وردة
لأكتب عن الربيع
و لا إلى ينبوع
لأكتب عن العطاء
و لا إلى التسول لأكتب عن الفقراء
و عندما أفكر بما سأكتب
و ما هو ممنوع أو مسموح
و أكيل كل كلمة بمكيال كالدبّاس
لا أخط حرفاً واحداً . . .
أما عندما أترك على سجيتي
فغير الله لا يعرف ماذا أكتب

و أية أبواب أطرق
و في أية مجاهيل أتوغل
و على أية أطلال أصدح
و أكتسح في طريقي : العقل والمنطق وحتى المارة وشارات المرور .

الرحم الجليدي

أي مجد عظيم ينأى عني
و أنا أسرق قوت الآخرين
تحت جنح الظلام
و أية أعباء سأنوء بها
أو خسائر سأتكبدها
أو دروس ساتلقنها
أو دماء سانزفها
أو صلاة سأتلوها
في الليل وفي وضح النهار
الله على بساطته لن يقف على الحياد .

*

حملت جراحي القانية على كتفي
و نزلت بها الشوارع

و الحانات
و الفنادق
و الحدائق
جراح فلسطين
لبنان
الجزائر
اليمن
العراق
أفغانستان
الشيشان
و في الاحتفالات و الأعياد
كان شعبي برمته يرقص بأحذية حمراء .

ترميم قصيدة أو مجد الصغائر

دائماً على رأس عملي كزوج
في السرير
في المكتبة العامة
و أمام إشارة المرور
و أسماك الزينة
و لكن ما إن أسمع صوتها
حتى أصاب بالكساح الجنسي و العمى الوطني
و يقع ما بين يدي
و تتسخ ثيابي كدفتي كتاب مقروء
و عندما تظهر شبه عارية
تصرخ أدوات تعبيري في وجه القدر و الطغيان
كما لم يصرخ ثائر من قبل .
و أنت ترقدين في إحدى المصحات البعيدة

و صليب من القطن حول رأسك النبيل
أهتف لك : لا تبالي
لا ينقصك إلا ناقوس و كنيسة
و عندما أعود بعد شجار عابر مع المنظرين و الدهماء الغرباء
و على فمي و لساني صليب مماثل من الضمادات
أقول لك :
لا تبالي إنها مجرد إصلاحات طبية و سياسية .

*

فجأة أتذكرك ،
كما يتذكر المناضل القديم . . .
الكلمات و الشعارات التي خطّها بدمه
على برقيات التأييد و الاستنكار و جدران السجون .
و أخاطبك همساً بأكثر من اسم

لأضلّل رجال الأمن و الدين .
لقد أبعدك الآخرون عن دفاتري . . .
و لكنك ما زلت في قلبي كالإيمان بالله
حتى و أنا في الحانات و علب الليل
و لا أستطيع أن أردّد اسمك كثيراً
خارج أوقات الصلاة ،
حتى لا أعتبر أصوليّاً
و تقرأ قصائدي على هذا الأساس .

*

ثم دعينا من كل هذا و ذاك . . .
ماذا حلّ بشعرك الأسود الطويل
أما زال المارة لا يفرّقون بينه و بين المطر

و قبلاتك على وجوه أطفالك
أما زالت قصيرة و ممتعة
كإغفاءة العامل المجهد عند الصباح .

٭

بين الفينة و الفينة أكتب اسمك على دفاتري
و أمحوه أكثر من مرة
لأعيد الحياة و الكرامة لها ،
لقد تلقت في غيابك الكثير من الصفعات و الإهانات .

٭

آخر أخباري مثل أولها :
إنني مثل رومل أقاتل على عدة جبهات
(الشعر ، المسرح ، الصحافة ، الأصدقاء ، الأعداء)

خائضاً حتى الركبتين
في مستنقع الفقر و الفقراء .
على كل حال جهزي إطاراً أخضر لصورتي
لأنني سأموت في الربيع!

اليوم الذي تنقطع فيه الكهرباء و الماء في بيتي
و يتعطل هاتفي
و تتحطم نظارتي
و أفقد وظيفتي
و يحاصرني الدائنون من كل جانب
و استدعى إلى المخابرات بثياب النوم
لا يمكنني أن أسميه يوماً فضيلاً
و لو كان يوم جمعة .

٭

ثم أنا الذي لا أملك في هذه الدنيا
سوى هذا العقل الريفي البسيط
كيف أستوعب العالم

بكل مافيه من أجهزة ورادارات وتلسكوبات ومخترعين ومكتشفين
و جهابذة منطق و علماء نفس و أدمغة الكترونية و عباقرة في علم
الفضاء و كل شيء ؟
لا يستو عبني ؟

مطرقة شيعية

سندان أموي

ساطور جزائري

وأد جاهلي

خازوق تركي

خنجر ابن ملجم

رهائن أبي سياف

عسس عمر

عمامة الحجاج

سيف عنترة

مثقب سلجوقي

مبرد آرامي

فلقة حنبلية أو شافعية

منجنيق مغربي

مشنقة عمر المختار و سليمان المرشد

نظارات سامي جمعة

و سياط السراج و أوفقير و المهداوي و وثائق صلاح نصر و إعدام سعاد حسني

و سجن المزة و المية و مية و أبو زعبل و أبو غريب و المقابر الجماعية و القتل على الهوية

و كبد حمزة و غازات علي الكيماوي

رماد حلبجة

بقايا فرج الله الحلو

بلطة أيمن الظواهري و فتاوى عمه ابن لادن

نهيق ثقافي

عواء إعلامي

شروقي ، معنّى وموال عراقي

صداع فلسطيني

و شقيقة فارسية

هذا هو الموكب الذي يحف بي مع كل لقمة وإغفاءة ونزهة وقبلة وقصيدة

خائن عاقل
أم بطل مجنون ؟
بعـد أن قلبّت هذا السـؤال طويلاً في رأسي و اسـتـشـرت الأفق والبحر و الأمواج المتلاطمة حسمت أمري و صرخت :
انهض أيها الربان العجوز لقد حان وقت العمل!
و طلبت من مساعدي الشاب مجرفة و رفشاً و قفة أسطورية
فسألني وهو يلبي طلبي على مضض : لم هذه الأدوات أيها القبطان؟
فأجبته و أنا أشمر عن ساعد الجد و العمل : سترى .

*

و أخذت أحفر وأحفر وأغرف ما تطاله يداي من الحكام و الملوك والسلاطين وزوجاتهم وأبنائهم وعائلاتهم وحرسهم وأقربائهم وجيرانهم و من التجار و المتعهدين و المقاولين و سجلاتهم و أرباحهم الوهمية و الحقيقية و علاقاتهم المحلية و الإقليمية و الدولية

و من صناديق الاقتراع و نسبة ال ٩٩ و ١٠٠٪

و أتباعهم من المعارضين و الموالين و الجبهات الوطنية المركزية وابن فلان و فلان و على رأسهم أبو سياف العربي و الفليبيني و شارات النصر إياها من مخابئ رام الله

و من السجون و السياط و أقبية التعذيب و الشعارات الطافية في أحواض الأسيد و كل المحققين و الجلادين و من أفتى لهم من جميع الطوائف و الأديان

وشعراء ومطربي الأعراس والمضافات والكبريهات والمسيرات والمهرجانات

و خطب و قداديس الجمعة و الأحد و الأعياد الوطنية و الدينية منذ عام ١٩٤٨م حتى الآن

و كل الحمولة التي قضيت حياتي في إعدادها لهذه الرحلة

و صرخت بمساعدي : هيا يا بني ارفع المرساة و انشر القلوع

فأجاب محذراً :و لكن هناك عاصفة قوية باتجاهنا

و صرخت مصفقاً و أنا بمنتهى السعادة : لقد قضيت حياتي في انتظار هذه الحمولة و هذه العاصفة!

كابوس العمر

كل شيء يثير حفيظتي و ينغّص عليّ حياتي
الاحتلال . . الاستقلال
الفوضى . . النظام
الضوء . . الظلام
الضجيج . . الهدوء
الشهرة . . الإهمال
الابتسامات العذبة . .القهقهات العالية
الأزياء الشعبية . . المعاصرة
الخنوع . . الطموح
الربيع . . الخريف
بهجة الأعياد . . أشباح الموتى
مكاتب السفر . . الاستعلامات
لهو الأطفال . . سعال الشيوخ

اللوحات النادرة . . الجمال الخارق
العري . . الحشمة . . الابتذال
كل هذا يخترقني كالرمح . . عندما يقرع بابي رجل أمن
و يقول لي : سأعود .
أو مخابرة هاتفية من مجهول
و لذلك أتوسل إليكم و أقبّل أياديكم أن ترسلوا مندوبا لمثل هذه المهمة ، ضابط مرور . .تموين . . إيقاع .
أعرف أن هذا التصرف مخجل و معيب و مشين
و لكن العار أجمل من الخوف!!

مشروع فراشة

و الآن جاء دورك
أيتها المرفرفة حول دفاتري
كفراشة المصباح
أو المسمار الضّال
حول خشب الصليب
قد أنسى مواعيد الطعام و الشراب و الدواء
و حتى الصلاة و الدعاء
ولكنني لن أنسى قواعد الشوق
و أبجدية الحنين لك
و لكل ما يمت لك بصلة

❉

ما لون الوسادة التي تنامين عليها ؟
و هل تكتب لينا وظائفها على طاولة ؟

أم على الأرض أم على ركبتها كجدها ؟
و ماهي اللعب التي يلهو بها هادي ؟
في ساعة صحوه و إشراقه ؟
أرنب ؟ قط ؟ دب ؟ عصفور ؟
إنها لعب أطفال فعلاً
و لكننا سبقناكم كثيراً في هذا المجال
فأبسط لعبة في أرض الوطن
هي الوطن نفسه ،
و تاريخه و مستقبله و مصائر الناس فيه .

❉

و أخيراً تسألينني عن أحوالي
و كيف أقضي أيامي ؟
لا أعرف يا ابنتي لا أعرف

لقد صارت قدماي جزءاً من الأرض
و شرفتي جزءاً من السماء
و كل ما كتبت صار في ذاكرة الناس
و هكذا انتصرت على الموت
الذي طالما حذرتني منه
دون أن أصاب بخدش
أو أفقد قلامة ظفر .
بالمناسبة ما أحوال الطقس عندكم ؟
يقال انه صقيع قاري لا يحتمل .
آه يا أحبائي
ليتني شمس غجرية فوقكم
أو بركان مسالم بين أغطيتكم و أطرافكم .

و الله لقد حيرّتني أيها الشعر
اخذك إلى الحقول والبساتين والطيور والأزهار والطبيعة الخلابة . . تتثاءب
إلى القصور والأكواخ والمدن والأزقة والمشردين والمتسولين . . تتثاءب
إلى الفنادق والملاهي وأحواض السباحة ونوادي الشطرنج . . تتثاءب
إلى الصحراء حيث البراءة و النقاء و الصمت المطبق . . تتثاءب
إلى مكتبة الأزهر و الظاهرية و بغداد و المستنصرية . . تتثاءب
إلى المتاحف الخالدة في بصرى و جرش و سبأ و بعلبك و قلعة
و صلاح الدين . . تتثاءب
إلى الأراضي المحتلة والفدائيين المنطلقين إلى الشهادة بأكفانهم . . تتثاءب
إلى مجازر صبرا وشاتيلا وقانا وتل الزعتر وبور سعيد [illegible] . . تتثاءب
أعود بك إلى التاريخ المجيد و الماضي التليد و [illegible] و الرماح
الحداء و الطعن و النزال و المعلقات . . تتثاءب
ماذا تريد ؟
ـ و الله ما شبعت و لكنني مللت . . .

دفتر تفقّد

سلمية . . .

يا قلمي و معولي و كتفي في السرّاء و الضرّاء

و حطبتي المدّخرة للقادم من ليالي الشيخوخة و أطرافها المثلجة

من استغلّ غيابي و أشبعك ضرباً و لكماً و رفساً و تمزيقاً ؟

و فرّغ سطوحك من الحمام النادر ، و ملاحف الملبن ، و الصواني النحاسية بما فيها من أدام الأطفال و المسنين ،

و استبدلها بالقنّاصة ،و الصحون اللاقطة ،

و ملأ حواريك بالمقاصف و القاصرات و الخرق الشهرية ؟

و أين فلان ذبح أخته لأن غريباً عن الحارة تنحنح عند مرورها ، ولم تتوقف و تلقّنه درساً ببابوجها على رأسه ؟

و فلانة ذبحها خالها لأنها تتوقف عند شجرة معينة على طريق العين و تتنهد .

ثم حوّل حمامك الشهير إلى وكر موبقات و مركز انطلاق للكس
و الخلع و المداهمات؟

و أين تجار الشيت و الكتان على الظهور من جرود الهرمل و عكار بطرابيشهم الحمراء و شراويلهم الفضفاضة التي تلامس الأرض ؟

ثم ، أين صور علي خان ؟ و عبد الله تامر ، و عبد الناصر؟ و فريد الأطرش ، و أسمهان ،على كل جدار و خابية بريشة رسامك الأميّ الطفل ابراهيم سيفو ؟

❊

و أين سليمان عواد ؟ وعلي الجندي ، وشحود النظامي ، وعلي الحاج رشيد ، وطلعت الحصري ، ورفيق القطريب ، ومحمد حيدر ، وتاج المير أحمد ، وهاشم عطفة ، ومصطفى صادق ، وعارف تامر ، واسماعيل سليمان ، ومصطفى غالب ، وأسعد حافظ ، وكنج سليم ، والحاج فانوس ، وأحمد تلجة ، والشيخ موسى ، والشيخ عزيز ، والشيخ مصطفى صحافي آخر زمان ؟ وقد توزعوا في مقهى البلدية الوحيد للعب الورق ، أو طاولة الزهر أو تبادل الأنخاب والتطييب لوديع الصافي وصباح وإيليا بيضا .

❊

و أين المحامي علي حيدر ، و القاضي احمد ادريس ، و المستشار هشام الشعراني ، و الفيلسوف حسين تقوى ، و المعلم أحمد فرحة ، والمصور محمد نور الهبيط ، والحلاق عاكف بربر ، والحداد أبو طالب ، والساعاتي أبو نزار العكش ، و المبيّض أبو علي شما ، والطحان أمين جركس ، والسائق علي جمران ، والغنّام أحمد نعوف ، والجمّال نبهان ، والجلّخ فاضل عفارة ، والعوّاد يوسف الادلبي ، والمطهّر احمد كامل بدراجته وطربوشه وحقيبته ، وقطرة اللؤلؤ وحبوب الكينا ، وشراب الشاهوق ، و موسى الختان و التطعيم ، و مخرز ثقب آذان النساء ، و فرار الكبار قبل الصغار منه و من حقيبته و دراجته ؟

❊

و أين خشاف عبد الرزاق ، و نمورة أبو درويش ؟ و مخللات كاكور ، و قنبز عبدو حيدر ، و كباب قلفة و علي العجي و أبو ناصر اللحّام ، وتينات أبو علي نمنوم ، و صفيحة حمود الطن بين الجميع ؟

و جلابيب علي زهرة ،و بالة الحاج رشيد ، و مجوهرات محمد الخالد ، و دكان دعكول و الطنبر : من عقالات المرعز إلى ملاقط الغسيل و فراطة العنب .

و بازار السوق ومسك السوالف والشوارب عند أي تعهد بالدفع أو الإنجاز

و ثابت شقرة و المواجهة بالمقاليع بين حارة و حارة ؟

و المراهنة على بذور البرتقال أمام الحوانيت ؟

و لعب الدحل والأراجيح بين المقابر . ثم أين قبر الطفل بدر ديبو جاري و شريكي في الطرّاحة والمصحف والمدلّ عند الشيخ علي عيدو؟

❊

ثم أين سهرات العيد و ليلة القدر ، و الكعك ، و الشعيرية والغمازات و أسنان الذهب و الماشطة زينب و الداية بدرة أبو حبلة ، وكرسي الولادة من حارة لحارة .

ثم ابراهيم الحموي و معروف عزو الهبيلة و علي حسن القطريب واحمد الحركة و الميجنا و العتابا و أبو الزلف و أم العباية في حلقات الدبكة يداً بيد على مزمار خرفان الحفارة ، و ربابة جمال الشعار وتفريغ المسدسات حتى آخر طلقة عند كل آهة أو موّال موفّق ؟

حتى طائرات الركاب العابرة كانت تميل وتنخفض للتزود بالوقود والعتابا .

و أهم من كل هذا أين جوقة الشرف : المخصي ، مصطفى شتيّان ، الصليّب ،

عسكر حيدر ، رحمون ، كريمو ، بو دقو ، و الأخرس فجر ، و عزيز صافية و بدها صبر ؟

❊

من أضرم النار في كل هذا ، و غيّر و بدّل كما يشاء ؟

الغساسنة ، المناذرة ، السلاجقة ، الفراعنة ، الفرس ، الروم ، المماليك؟

وما هو عددهم ، وأعمارهم ولباسهم ومطاياهم والجهات التي تقاطروا منها؟

و أهم شيء رائحتهم ؟

ورد

حبق

زيتون

نخيل

رمان

رصاص ؟

و لكن حذار البيلسان!

انه متسلق ، طفيلي و مستضعف

نكون بشجرة ، بشجرتين فنصبح خارج البستان كله .

*

و لكن لا عليك . مادمت تتوسعين يوماً بعد يوم فقد تصبحين عاصمة المنطقة كلها ، و لم يرتفع على أرضك فندق واحد حتى الآن ،

و أبوابك ما زالت مفتوحة لكل حاج و سكّير ، و جائع و مطارد ، فالدنيا بألف خير و أنت سلمية التي أعرفها ، والتي أكلت من تراب عتباتها ومصاطبها ، و ريش دجاجها و كلس جدرانها و اسمنت شبابيكها ما يكفي لبناء فندق بعشر نجوم .

*

فيا أبنائي و أحفادي و ما تبقى من رفاق طفولتي لقد تعبت . .تعبت . .خذوني من يدي من دفاتري إلى أقرب ما تبقى من بيادرها و كرومها .

أو خذوني إلى المدرسة الزراعية التي أعشقها ، و مديرها لطفي بك بجزمته العالية و قبعته الفلين و سوطه المفرقع بين ممرات المهاجع والمطابخ و الأشجار الغارقة في الظلام .

فانه و الله لأرحم مما سمعت و رأيت!! .

أيها الحدادون والنجارون إليكم أشرطة فيروز وفايزة احمد وعبد الحليم
و انتم أيها الطرّاشون و السباكون و الدهانون إليكم لوحات لؤي كيالي و فاتح المدرس و حمود شنتوت
وأنت أيتها الزلازل إليك حبوبي المهدئة
وأنت يا الياس مسوح إليك عكازي و قبعتي و قفصي الصدري
وانتم أيها الجيران إليكم ديوني فنصف ممتلكاتي المنزلية في بيوتكم

*

إنني شجرة فرح
و إذا بخريف صاعق يضربها من الجذور

*

شراع خفاق
و إذا بعاصفة تمزقني أو جبل جليد يعترضني

*

شروق غروب
انتظر رساماً يخلّدني
فيمر قطار يحجبني و يعميني

*

ضوء في نهاية نفق
و إذ بصخرة تسده
و راع يسند ظهره عليها و يغني قصة حبه
إنها دمشق :
أيتها الطيور
أيتها الأنهار
أيتها الأزهار
أيها الربيع
أيها الخريف

أيها الأصدقاء
أيها الحب
أيها الأحباب
أيها الشعر
أيها الحنان
أيها الوئام
أيها الوفاء
أيها الحزن
أيها الفرح
وداعاً وداعا إلى غير رجعة
رغم كل الحيطة و الحذر و الأسلاك الشائكة و الفخاخ المنصوبة
وأجهزة الاستشعار عن بعد و أرقام الأمم المتحدة و الطوارئ الدولية
وسلامة البيئة

و مدير حديقة الحيوان مع مساعديه
هرب الأسد الهصور من أعماقي
و بقي الحمل !!

الوطن مشرف على التحقيق

أيها الوطن البتول و الجارف كالطوفان
رويدك عليّ
لألتقط قبعتي و عكازي و أنفاسي
فأنا لا أتنكّر لأحلامي بهذه البساطة
لمجرد إشارة من إصبعك
ثم أنت لم تنذرني
فمن يطلب إخلاء بيت . . مطعم . . مقهى
يعطي شاغله مهلة شهر أو أسبوع على الأقل
لأسدد الضرائب و أفي بالتزاماتي المالية
من أين ؟ لا اعرف
لأن القانون يقول : نفذ ثم اعترض .
و أراعي حسن الجوار
ثم عندي ارتباطات مسرحية و شعرية

لا أستطيع التنصل منها

ثم إنني لست سائحاً أو لقيطاً على باب جامع

بل مواطن حقيقي و أديت خدمة العلم حتى آخر رصاصة

و لم أهرب إلى إحدى دول الخليج لأعمل مربي أطفال أو عجائز

لتوفير بدل الخدمة

مع أنني معفى منها

فأنا وحيد لأهلي و زجاجاتي و قصائدي . .

و معيل لها

ثم كنت إلى جانبك في الأزمات دقيقة بدقيقة

و سجناً سجناً

و سوطاً سوطاً

فانا قطار ودود لا أنسى المحطات التي زودتني بالوقود و المسافرين

و فلاح وفي

لا ألقي حجراً في البئر الذي شربت منه

بل زهرة . .قصيدة . . برتقالة

فلربما كان جائعاً و وحيداً هو الآخر .

*

أنا لا أنكر أنني نمت في أحضانك

و ركبت على ظهرك و جدرانك في طفولتي

و احتميت بجدرانك في شيخوختي

و لكن أن تركب على ظهري طوال العمر مقابل ذلك

و مشترطاً أن يلامس جبيني سطح الأرض فلن أقبل :

فوقه بقليل ممكن

فأنا أيضا عندي كرامة .

وجد

أعرف بأنني رغم كل ما فعلته لها و لأجلها
لن تعيد لي بلاطة من أزقتها
أو غصناً من غوطتها
إنها مدينتي و أنا أعرفها
و لذلك سأشرب من ينابيعها
بكل ما أستطيع دون ظمأ
و آكل من طعامها فوق طاقتي دون جوع
و أعبّ من هوائها بكل قواي دون علة
لأسترد بعضاً من حقوقي عليها
آه . . . فلتذهب حقوقي و حقوقها إلى الجحيم
المهم . . . كيف أنساها ؟
أنام على جنبي الأيمن : نوافذها و شرفاتها
على الأيسر : مطابخها و مناورها

أتمدد على ظهري : سماؤها
و لكن متى توفرت الرغبة بالانتقام
فأدواته لا تحصى
سأترك وحلها على حذائي
و غبارها على ثيابي
لأسيء إلى سمعة كتّابها
سأرش شوارعها و ملاعبها بالمسامير
و أرشد القمل إلى رؤوس أطفالها
و الريح الثلجية إلى عظام عجائزها
و اليأس إلى نفوس شبابها
و أمزق ما تطاله يدي من موسوعاتها
و مجلدات آدابها و علومها و وقائع أيامها
و أطارد كلابها و قططها في الشوارع

و أنهر متسوليها على الأبواب
و أنفض الحبر على خرائطها و طرق مواصلاتها
و أحطّم مصابيحها في الظلام
و أنزع حتى اللحاء عن غاباتها في الشتاء
لا لأنني ساديّ دموي و شرير
بل لأنني مللت النوم كل ليلة
و أنا مرتاح الضمير .

فن التسويق

المتعهد : عندي كذا تاجر
و كذا عميل
و كذا مرتبط
و كذا سمسار
و كذا قاتل
و كذا جانح
و كذا مدمن
و كذا سفاح
وكذا جاسوس
و كذا مهرّب
و كذا قوّاد
و كذا عاهرة
. . . .
و كذا شاعر على البيعة

الزبون : و ماذا أفعل بالشعراء ؟ أخلّهم ؟ ؟

المتعهد : هذا شرطي الوحيد لإتمام الصفقة!

الزبون : من لا يريد تزويج ابنته يرفع مهرها .

المتعهد : أبدا . ما أقوله و أعرضه معمول به في كل الأوساط
التجارية ، و ما هي السوق الرائجة الآن ؟ هي سوق
الفن . و هوليود عاصمة هذه التجارة بلا منازع ، فأي
شركة هناك لا تبيع أي فيلم جديد و مميّز ، إلاّ إذا اشترى
الزبون معه عشرة أفلام ستوك مهملة في المستودعات .

الزبون : ألا تريد أن نخدم هذه الأمة التي أعطتنا كل شيء ؟
إذاً ضع يدك بيدي و إليك ما عندي :
صالات و ملاعب و مسابح
رقص شرقي
غربي

فالس
تانغو
رومبا
سامبا
سانيا
سالتا
تشاتشا
رياضة الجذع ، الخصر ، المعدة ،الردفين
سباحة
قفز
مساج
استرخاء

بيروت آية بحرية

صباح الخير أيتها السطور
أيها الهامش
أيتها الصفحات البيضاء
أيها الكفن العريق المضياف . . .
و أنتم أيها المشيعون
ترفّقوا بما تحملونه على أكتافكم
فهو ليس فارغاً كما تتصورون
سيروا بهدوء
و سأشتري حزنكم بالسعر الذي تريدون .

*

بيروت . . .
يا أمي و طفلتي و معبودتي!
تذكرت ساحة البرج في " سرير تحت المطر "

و ساحة الدبّاس في " الغجري المعلب "
و صخرة الروشة في " أمير من المطر و حاشية من الغبار "
و الياس الديري في شارع شوران
و بول شاؤول في شارع الحمراء
و عصام محفوظ و فؤاد رفقة في مطعم بخعازي
و الرحابنة في "غربة و المحطة و جبال الصوان "
بك جعت و شبعت
قاومت و استسلمت
تألقت و انطفأت
عريت و اكتسيت
و حاورت و ناقشت و صرخت :
لم لا تكون بيروت وحدها الهلال الخصيب ؟
و كفى الله المؤمنين شر القتال!

لقد أحببتك و قدسّتك حتى كدت أشرك!

*

و لكن ما مضى قد مضى
و ما فات قد فات
أخاطبك الآن من كهفي الذي خصتني به خارطة الطريق في جبال آرارات
حيث لا أحتاج إلى نفقات إقامة و طعام و تنقل
فهناك من يدخل و يخرج و يأكل و يشرب و يناضل و يخون عني!

المطر المنافق

كل أديان الشرق آمنت بها
و كل حروبه خضتها
و كل أمجاده زهوت بها
و كل معلقاته بصمتها
و كل أناشيده رددتها
و كل أزيائه تخطرّت بها
و كل حاناته ارتدتها
و كل أطباقه صفقت لها
و كل فنادقه و مقابره و سجونه أقمت بها
و كل أمراضه ابتليت بها
و كل أغانيه و مواويله تمثلّتها
و أحببت وتزوجت وطلقت وخرب بيتي من إيحاءاتها وتعهداتها

❊

ثم يحتاج ثورة أنا وقودها
إلى موالاة ؟ أول المصفقين
معارضة ؟ أول المصفرّين
فوضى ؟ أول المخربين
إلى بناء ؟ أول الحمالين
سوء إدارة ؟ أول المرتشين
سوق سوداء ؟ أول المتعاملين
إلى التحديث ؟ أول المفتشين
إلى خيام و مساعدات ؟ أول اللاجئين
إلى ترفيه ؟ أول المهرجين .

*

و لذا أجمع السفراء و الشعراء و الكتاب و الصحافيون و المطربون
والفنانون و رجال الدين :

على أنني ثروة قومية يجب تأميمها ، أو إيداعها أحد المصارف
الأجنبية الحصينة
مع أنني لا أملك إلاّ الرياح .

لو أن أحداً من القراء أو النقاد أو الناشرين
أدرك مدى الشر الذي يعتمل في صدري
ضد كل ما هو مشرق و بريء و جميل
لما قرؤوا أو نشروا أو رددوا سطراً أو كلمة مما أكتب .

*

بي شوق دفين كالينابيع و المياه الجوفية
لخيانة أي حبيب أو قريب أو صديق أو جار أو مبدأ أو تنظيم
للارتباط دون تردد بعاهرة ، بدولة أجنبية ، مركز تجسس ، رقيق ، دعارة ، مخدرات ، عصابة للتنكيل بكل ما هو حر و وطني و مقدام!
يا أبا الطيب . .
أنت مررت مسبطرّاً عشرات المرات بسلمية
و أنت يا أبا فراس ألست القائل :
مررنا بماسح و الليل طفل و جئنا إلى سلمية حين شاب

و أنت يا ديك الجن أقمت فيها و عرفت نساءها و عاداتها وتقاليدها كأبنائها
هل تعرف ماذا اشتهت أو توحّمت أمي في شهور حملها الأولى
على البرق الرعد العواصف أم على الشتاء كله ؟
لقد كان رحمها و أثداؤها و مطرقة بابنا و طيورنا و أشجارنا ومضختنا و ميازيبنا على شكل : إشارة استفهام!
لا أحد يعرف حتى الآن لماذا ؟
و لكن الكل يقول إنني ولدت مكتمل النمو في الشهر الثامن أو السابع من الحمل
و أنا أقول بل من الشهر الأول
و لذلك لو سرت بنفس السرعة خمسين عاماً إلى الوراء
لما بلغت الطليعة من شعبي!!

أمي العروبة

و أبي النضال

و أختي الوحدة

و عمي الحياد الإيجابي

و خالي عدم الانحياز

و صهري الصمود

و عديلي التصدي

و ضرتي الجامعة العربية

و جدي الدفاع المشترك

و أنجالي الشوارع

و أطلب الخروج من هذه الفوضى فلا أسمع غير الكلام :

المحارب يتحدث عن الحرب و لا يطلق رصاصة واحدة

الفلاح يتحدث عن المواسم الخيِّرة و لا يزرع بذرة واحدة

العامل يتحدث عن وفرة الإنتاج و لا يدق مسمارا واحدا

الأم تتحدث عن الأمومة و لا تنجب قطة

أبكي . . . دائما هناك مآس جديدة

آكل . . . دائما هناك حقول و إهراءات جديدة

أشرب . . . دائما هناك أنهار و آبار و ينابيع جديدة

أحارب . . . دائما هناك أعداء و جبهات جديدة

فالج لا تعالج !

بل سأعالج

و شكلت حكومة ظل . . طوارئ . . و رشحت لها :

كل أنواع الورود في العالم لوزارة الشباب

و القمر لوزارة الكهرباء

و المطر لوزارة الري

و السنونو لوزارة المواصلات

و نسراً لوزارة الخارجية

و خلداً لوزارة الداخلية

و طاووساً لوزارة الدفاع

و ببغاءً لوزارة الإعلام

و الرياح لوزارة التخطيط

و سكيراً لوزارة التربية و التعليم

و غجرياً لوزارة الإسكان

و أبو النواس لوزارة الأديان

و أبو سيّاف للسياحة

و الحجاج لوزارة العدل

و طفلاً لوزارة الأعياد و الأراجيح و الحلوى

و أبو هريرة أميناً عاماً للحزب الحاكم و لمجلس الوزراء و لاتحاد الكتاب و المعلمين و المهندسين و العمال و الفلاحين و لأي اتحاد أو نقابة أو مؤسسة فيها سر من الأسرار

و ابن سينا و ابن رشد و ابن النفيس و أبو العتاهية :
وزراء بلا وزارة
و دين الدولة : الربيع
و جورج بوش الأب أو الابن أو جورج واشنطن أميناً عاماً للأمم المتحدة و حلف الأطلسي ومنظمة الصحة العالمية والبيئة والطاقة الذرية والأرصاد الجوية والبنك الدولي وبنك المعلومات في كل مجال ،
و ماركس : وزيراً للزمن . . .

بعد الصبر و الإيمان

هادي المولود ليلة الميلاد
ليس مؤهلاً لتخليص الخطاة و إرشادهم
بل لمناغاتهم

*

و آلاء التي تظهر و تختفي كقمر الشتاء
و لينا التي دخلت موسوعة غينيس
لا يمكن بلوغها إلاّ بما يبزغ أو يهل من صلبها

*

و مي التي لا أعرف عنها
أكثر مما يعرف الملك
عن مصيره في زمن الفوضى

*

أيّها الملائكة الصغار

يا نجوم ألف ليلة و ليلة . . .
لا أجد ما أحميكم به سوى دفاتري ،
و لا ما أحمي به دفاتري سوى الوطن . . .
و لذلك :
فله خبزي و خبزكم
و مائي و ماؤكم
و حناني و حنانكم
و غلة الحقول و المراكب
و قوت الفراشات و العصافير ،
و عرق العمال و الطلاب و الفلاحين ،
و الصوم و الصلاة و البعث و النشور و الشهداء
و كل ما في الأرض و السماء و أعماق المحيطات
هو للوطن . . .
و الوطن لبضعة لصوص .

اتحاد الكتاب لا يقرر موهبتي كشاعر
و وزارة الصحة لا تقرر لياقتي كرياضي
و وزارة الزراعة لا تقرر مؤهلاتي كفلاح
و وزارة الأوقاف لا تقرر أهليتي كمؤمن
و وزارة الدفاع لا تقرر كفاءتي كجندي
و نظام المرور لا يقرر طريقي أو اتجاهي
و نقابة الفنانين لا تقرر ميولي في المجالات الأخرى
و محاكم أمن الدولة لا تقرر وطنيتي أو عمالتي
و مختار الحارة لا يقرر حسن سمعتي و سلوكي

*

الكل يريد أن يخرجني عن طوري !
و ها أنا أخرج عن طوري و من بيتي
فماذا جنيتم ؟

*

ليل . . نهار

شروق . . غروب

مطر . . غبار

جبال . . وديان

شوارع . . منعطفات

سطوح . . خنادق . . استحكامات

شعر . .

نثر . .

مسرح . .

تبادل تهم و دموع و زيارات و اتهامات و اشتباكات و مماحكات !

و عندما أتعب أضع رأسي على كتف قاسيون و أستريح

و لكن عندما يتعب قاسيون على كتف من يضع رأسه ؟

طارق بن زياد

على كرسي هزاز و رمال ذهبية و أشرعة خفاقة و مناخ معتدل

و أشجار مزهرة و طيور مغردة و نحل طنان

و ألبسة فاخرة و لآلئ نادرة و عطور فواحة و موائد عامرة

و فنادق بخمس نجوم وبطاقات اكسبريس لكل أرجاء العالم رهن إشارتك

مقابل أن تتوقف عما أنت فيه ، لقد أعطيت و ضحيت بالكثير

الكثير و آن لك أن ترتاح و تنعم بمباهج الحياة

فمن هو عمرو دياب وعاصم حلاني وجورج وسوف بالنسبة لك؟

و ماذا قدموا لبلادهم و أمتهم حتى ينعموا بما هم فيه الآن ؟

*

و فيما أنا أهمّ بتوقيع اتفاق بهذا المعنى ،

وإذ بمؤلفاتي يبعدون يدي بحزم صارخين :

لا . . لن تأكلنا لحماً و ترمينا عظماً!

لقد سبقناك و عقدنا اتفاقا موثقاً لمتابعة الجوع و العطش و ا...
والحرمان و التشرد و الأحلام و الكوابيس . .مع الجنون نفسه ، لتحسـ...
أدائه و رفع معنوياته!!

و إذا ما سار كل شيء على ما يرام فقد يباع قريباً في السوق السوداء .

أربعاء الجمر

...بحر ، الصحراء ، الأفق ، اللوحات النادرة
الأرقام القياسية ، المذابح المتكررة ، و الصراعات الطويلة الأجل
كلها مملة في النهاية و تدعو إلى التثاؤب
حتى تدمع العينان
بينما جسدك الذي ، ليس بحراً و لا أفقاً و لا صحراء و لا ديناً أو
...بحة أو لوحة نادرة
يغلي و يفور بكل شيء على مدار الساعة :
الشعر
النثر
الفن
الحب
الإبداع
الإلهام

العصافير
النسور
القمر
النجوم
و الأطلال
والغربان
و الديناصورات
و مع أن كل هذا مسموع كالصهيل و أجراس الكنائس
كنت دائماً صامتة و ملثمة كفرسان القرون الوسطى
و حلقات شعرك الناريّ ملقاة وراء ظهرك كميزان العدالة
هذا جسدك ، فكيف بأعماقك ؟

احذر الدهان

نحن الفاشلين في كل حقل
و انتبهوا لكلمة (حقل)
و عارضي العاهات و سعال الصباح المبكر
و أقفاص الدجاج المربوط الأجنحة و الأرجل
و أوراق الكباد و الليمون
للمولعين بالطعام الصحيّ المتناسق
و الآيات الكريمة و الأقوال المأثورة
التي تؤكد حاجتنا إلى المساعدة
ممهورة بتواقيع و أختام المختار و شيوخ المنطقة
و مهما واجهنا من مصاعب و تجاهل و ازدراء
و سطول ماء من النوافذ
و نفايات من الأبواب
سننتصر . . .
لأن الله (الريفي) معنا .

الجمله

أي شرف بالنسبة للآخرين
قد يكون عاراً بالنسبة لي
و كل عار قد يكون شرفاً و نبراساً .

*

الفاشلون في كل شيء
قد يصبحون بالإلحاح والمثابرة مصلحين في كل شيء لدرجة النبوءة .

*

الذكاء و الشهامة و المروءة
ليست في رعاية عائلة
أو إيواء مشرد
أو تجفيف مستنقع
أو إخفاء مقبرة
دون أن ينالك قصاص أو لفت نظر .

*

الشعب يطلب المطر
و أنا أطلب الجفاف
الحرية
فأطلب السلاسل
النصر
فأطلب الهزيمة
الحب
فأطلب الخيانة
و أي مفاوضات بيني و بين أي كان حول حزب أو مبدأ أو دين أو
أرض أو غنيمة أو سحابة أو عاهرة يجب أن تستأنف من النقطة التي
توقفت عندها!

و أنا أتابع حديثي الموثّق و المستفيض عما بعد الحداثة و الشعر
والمسرح و العولمة و الفنون الأخرى . . .
و غزو الكواكب و الروبوت و الاستنساخ المنزلي و قدح الكوكتيل
والسيكار الكوبي بين أصابعي . . .
فجأة صفرت ريح السموم في أذني و رغت جمال الجاهلية
وأزبدت بحور الشعر و القريض . . .
وصهلت وحمحمت الخيول على قرع الطبول ورقص القيان والسبايا
وأعدت الوأد وأقمت الحد على كل من حولي وما يطاله سيفي ورمحي
و بعثت الرسل إلى الربيع عن كل ما هو أخضر على الحصباء
وبين المضارب ماعدا النخيل و وشم الوجوه على الجباه و الأنوف
والشفاه و الأثداء و العانات
و هدرت دم شكسبير
و بيتهوفن

و بيكاسو

و بيكيت

و رامبو

و سعيد عقل

و نزار قباني

و أدونيس

و أنسي الحاج

و جوزيف حرب

و فيروز و الرحابنة

إذا لم يسددوا ما عليهم من خراج و جزية متراكمة و يعودوا إلى

قبائلهم و عشائرهم

وأفخاذهم وسيوفهم ورماحهم ومطاياهم وحدائهم قبل صلاة العصر!!

ماذا أفعل ؟

إنني أخطىء حتى في أحلامي

و دائماً أصلح الخطأ بما هو أدهى و أمر!

أيها السنونو الجبلي

لأية طائفة تنتمي ؟

لحظة . . .

كلما شربت كأساً نبت لي جناح .

القرصنات

أيها الدفتر العجوز الفارغ
أيها الملك العاري
كل فرسانك هاجروا أو استسلموا
كل هذه الخيانة و الخراب الذي يعم العالم
بسبب موت الضمير أو سباته
و في رفرفة بسيطة من جفنيه
يعمّ السلام . . .
كما يريد الفلاسفة والشعراء والأديان والأساطير ونشيد الإنشاد
تضاء الشوارع
و تنظف الأرصفة
و تزهر الغابات
و تتدفق الينابيع
و يتوفر الحليب لكل طفل

و الاحترام لكل عجوز
و المأوى لكل مشرد
و الطعام لكل فم
و مع ذلك تبحر مراكبي وأشرعتي وقراصنتي وحورياتي كل صباح
لأعود بما هو أجمل و أبهى و اخطر من كل هذا
إنني ابحث عن لصوص بمستوى غنائمي .

كل محرضات الشعر أمامي و من حولي

النجوم المتألقة ، الطيور الهاجعة ، الأشجار الساكنة و الأفق اللانهائي الخالد

و لكن لا شيء يحرضني على الكتابة إلا الصغائر و الترهات العابرة و المفاجآت المنزلية المباغتة

كأن تندلق القهوة عل ثيابي

أو يعطس أحد في وجهي

أو يصطدم رأسي بخزانة

أو قصبة ساقي بزاوية مقعد

أو أفاجأ بخطأ في فاتورة البقال أو الهاتف

لأنني أسجل ديوني و أقرأ فواتيري كما أقرأ الشعر

و أستسلم للتداعيات التي تسببها هذه الأخطاء إلى الكتابة عن الدوائر الرسمية وفوضى المرور والأسعار إلى ارتفاع نسبة الضرائب والبطالة

إلى الحشود العسكرية و حرب السويس و حزيران و تشرين و لبنان إلى مجزرة قانا و مجازر صبرا و شاتيلا إلى حلبجة و تل الزعتر و فرج الله الحلو و سجن المزة و سجن المية و مية و سجن أبو غريب و سجن تدمر و المقابر الجماعية في كل مكان

إلى إفراط عبد الناصر في التدخين و مبادرة السادات و اغتياله ووفاة أم كلثوم و فريد الأطرش و عبد الحليم و محمد قنديل

إلى الاحتباس الحراري و الغدر بكارلوس و انطون سعادة و كمال خير بك و اختفاء موسى الصدر و مرافقيه و غزو العراق و ليبيا والتحالف الدولي و الكيل بمكيالين .

طبيب العائلة يقول لي : كل هذا و لا تأكل ذاك و كل شيء سيكون على ما يرام .

و الطبيب النفسي يقول لي : نم الساعة كذا و استيقظ الساعة كذا و نصف حبة من هذا مع كل وجبة

و الطبيب المناضل : مظاهرة كل يوم ، مسيرة كل أسبوع ، مهرجان كل شهر ، و بعد ذلك لن يعكر صفوك شيء .

و طبيب الشعر يقول لي : كل و اشرب اعطس و تجشأ و نم واستيقظ وانس و تذكر و اسهر و اركض و اقفز و هرول و اخطب وصفق و صفر كما تريد و أنى تشاء

مثل هذا الطبيب سأرشحه لوزارة الصحة و لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة و لمنظمة الصحة العالمية

و لكن ما يقض مضجعي و ينغص علي فرحتي هو مصير تلك الأشجار التي كانت أشجاري

و الرياح التي كانت رياحي

و البحار التي كانت بحاري

و الرفاق الذين كانوا رفاقي

و الأمة التي كانت أمتي
فرغم خيراتها الوفيرة ومياهها العذبة ومناخها المعتدل وآثارها الخالدة
و رغم أن كل حكامها و قادتها و زعمائها دكاترة في كل شيء ،
تنتقل من مرض إلى مرض حتى وصلت إلى الحال التي يعرفها الجميع .

الشــتاء العجــوز

شام . . .
كل ما أكلته و شربته و كتبته و عشته وهم و هراء . . .
و أنت وحدك الحقيقة
صوتك البعيد كأم وكطفلة
يغنيني عن هاندل و موزارت
و حفيف الأشجار في الليل

*

آثار قدميك على الرصيف
رائحة شعرك في الهواء
نمشك الجميل المعبّر كنمش الفولاذ
يغنيني عن فان كوخ و غويا و سيزان

*

و أنت يا سلافة
عندما أنظر إلى عينيك الخضراوين العميقتين كبحر الظلمات
و إلى أسنانك الناصعة كياسمين الشتاء
بكل هذا الولع و الاستغراق
أستغرب كيف يخطر لك بأنني أوثر شام عليك
و هل يعقل أن أحب نصف وطن ؟
و أعبد نصف اله ؟
أنت لا تعلمين مثلاً
بأنني صباح كل عيد
أتلفع بثيابي الواقية من المطر أو الشمس
و أتوكأ على عكازي
لأقرأ الفاتحة على طيورك و قططك المدفونة
في الحدائق العامة

و أغمر قبورها الصغيرة بالزهور و القبلات

*

آه يا ابنتي
هناك غير الحسد و الغيرة و ما تقوله الأبراج و حظك هذا اليوم
وحظك هذا الأسبوع و الإختباء في زوايا البيوت و الحدائق و الفنادق
فللأرق و للدموع و الجنون و الأساطير و الأديان . . زوايا
و إن شئت الأمان و راحة البال
هناك الحب
الفرح
الصداقة
الوفاء
الحنان
التضحية

الفداء
الإبداع
الإلهام
الربيع
الشمس
القمر
النجوم
فهيا ناوليني يدك فالحياة أجمل و أعمق من عينيك مهما كانتا
عميقتين و جميلتين

*

معظم المبدعين و الثوار العظام
يحملوّن أطفالهم مسؤولية التنازلات المتوالية . . .
أمام الرغيف

و الحذاء
و قسط المدرسة
و الدروس الخصوصية
و ثياب العيد
و حبكما علّمني تحمّل الجوع و العطش و الألم
تحت الشمس و المطر و الثلج و المشانق
و الصمود أمام المقابر الجماعية و دبابات الطغاة .

من مذكرات أشعب

على مسافة معينة من أسناني
كانت سنابل الشعب تتمايل بكل غناها و خصوصيتها
و كلما طالت المواجهة
فقدت شهيتي
و مقاومتي الشعرية
و اغتنمت أول فرصة منطلقاً بكامل لياقتي البدنية و العقلية
فوق السنابل و المناجل و الإهراءات
إلى صدر الإسلام الناهد بالجياع و الضحايا و المتسولين
لأمثّل بهم صباح مساء

*

ثم تمددت بسيفي و صرخت :
يا عمال البحر
قليلاً من الهدوء لأتابع حلمي

لا أريد فلسطين ناقصة زيتونة واحدة
و الحجاز آية واحدة
و العراق نخلة واحدة
و لبنان أرزة واحدة
و الجنوب عملية واحدة
و الجزائر مجزرة واحدة
و السودان فيلاً واحداً
و النيل قطرة واحدة
و الغوطة شجرة واحدة
و أنا واثق بأنني سأعيش بقدر ما أحلم!

" احتضار عام ١٩٥٨ "

نالت هذه القصيدة جائزة جريدة النهار لقصيدة النثر عام ١٩٥٨.

إنهم ليسوا رجالاً أولئك الملتهبون في حدائق الورد
بل أشبالاً زأروا للمرة الأخيرة تحت مطر الشمال
حملوا التاريخ على أكتافهم كما تحمل صناديق الفاكهة عبر الوحل
عبر المدارس القذرة و المباغي الجنوبية
أنا أعرفهم
أعرف السؤدد و الكرامة
و المبادئ السائلة على أرائك التاكسي .

*

في غرف لا نوافذ لها كغرف العشاق و المهربين
كانوا يحصون قتلاهم على الآلات الحاسبة
و كانت الأسماء الطويلة تثير امتعاضهم
هناك . . في العرين العظيم المغطى بالبارود و غاز الحبر ،
كان الشجار يرتفع عن أزهار الخوخ و تعرّق الأرجل

و صور الضحايا التي يغطيها الذباب
و أنا أرفع يدي كالمتر المكسور
دون أن يردّ عليّ أحد
هناك . . .
في الغرف المنقرضة . . .حيث العرق ينزف
و الشوارب الذابلة تحنيها ريح الصحراء .

*

مولاي
أنا الإنسان الحضاري ذو الغرة الكستنائية
حامل العقيدة و المشط و أوراق الزكام
أخاطبكم و التبغ يسيل على جوانب فمي :
لقد مضى عهد الإرهاب و القيلولة . .
و صفع الغلمان الشقر في المتاريس .

لا شيء غير النجيع الأحمر
و صرير الطاولات المحمّلة على الظهور .

*

هل نعود حقا إلى القن و المزرعة و غيوم الأرجوان
هل ينفجر خزان الضحكات الأولى
إذا ما ثقبناه بالرصاص و الأنياب المهاجرة ؟
هل نعود ؟
و متى و لماذا ؟
و ما من أحد سوى نور القمر الأخضر
و روث الريف الجاف .
أبي . . أمي . . شيئان قديمان من الوحل و السعال و العظام البارزة

أهلي . . أخوتي . .
أشياء قديمة من الحساء و المخاط و الثياب المهلهلة
هل نعود ؟
متى و كيف ؟

*

رأيت جوربيك القذرين على طاولة الحرب
رأيت قبر أبي يتسخ كالمغسلة
و أمي منهوكة القوى
تقلب التراب بيديها كأنها في مختبر
لترى هل يستحق هذا التراب
المليء بالقش و الحصى و المسامير
كل هذا الشوق و العناد و الكلمات الطنّانة
هل يستحق هذا التراب المتنقل على الأحذية و الحوافر

كل هذا الفقر و الغيظ و المسدسات المدفونة بين الأفخاذ ؟

*

لا تلمها يا مولاي
إنها لا تراني إلاّ في الصفحات الأخيرة
متسخاً عبر آلاف الجبال و الأودية الغبراء
أو اقتلها
إن في عيني قسوة القياصرة
و في زندي ملايين الأذرع الخاوية تتأرجح!

*

اقتلها
اقتل الجدران ، و السيارات ، و مكاشط الوحل
و لكن دعني أرفع يدي هكذا في وجهك
لأحدثك عن النجوم الصغيرة ، و رنين الحافلات المتقطع

عن ملايين الأنوف و العيون التي نصطدم بها تحت ستار الرعد
دعني أبرز لك هذا الغليان الهائل
من الحنكة و التذمر
هنا وسط فمك و قلبك و تاريخك الجامد و المدبب كالمنقار

*

لا لن أقف خلف الطاولة بثلاثة أقدام ، أو ثلاثة قرون
و لن أشيح بناظري عنك
ما لم تكن هناك فتاة تتعرى
أو وعاء يتصاعد منه البخار .
رأيتك تنزف في أحد الأدراج أيها العاشق الذابل العينين
و الدهن يقطر على أوراقك السرية .
هناك في الغرف النائية ذات الأجراس
رأيتك تصافح الجميع ما عداي

تقذف لفائفك للجميع ما عداي
و لي خمس أصابع و خمسة أظافر كالآخرين
و أنا أقف أمامك كالصنم
و دموعي مستقيمة كالأزرار .

*

آه لو تعلم أيها الإله الذهبي
أن أجيالاً و أجيالاً ستحيا على فضلات هذه الأصابع
أمماً و أمماً ستعيش على ذكرى هذه الأيدي الموشومة كأيدي البدو .

*

أنا أعرف لماذا ؟
لأنني فقير و معدم
و أقف على الضفة الأخرى من النهر
على الجانب الأسود الحار و المحتضر

و المنحني كالشلال تحت ضغط الأثداء الصغيرة
و المشدّات الممزقة على مفارق الطرق .
لقد وضعت حقيبتي على ظهري كالطائر
أجتاز الخنادق الغاصة بالدم و الآلات الحاسبة .
و كانت لفافتي على مستوى آلاف القمم
و دموعي تتساقط على آلاف الغابات
و أفكر بالاتهام و السيطرة
و تساقط الحواجب في الخريف
و التبول تحت الشمس اللاهبة
و قذف القمم كالحصى داخل الوديان
كنت حزيناً و مرعباً أمد رأسي كالعصفور
من خلال النوافذ و المصابيح المتطايرة فوق شعري
ألمح الأبواب الطعينة

و أقدام الأبطال الغائصة في العشب
و التلال الزرقاء التي طالما هززتها بقدمي
تلمع أمامي كأسنان البغل
كأسنان وحيدة باكية
عبر تاريخ طويل من النهب و الزغاريد
و ارتطام الكهول في المباول

*

ثمة قرية صغيرة بين ذراعي
ملعقة صغيرة و صفراء كالبلبل في حديقتي
أيها الدم القاني لن تعرف جرحي أبداً
أيها الجوع النائي لن تعرف فمي أبداً
إن أنهاراً من المرطبات
من الهواء الأخضر و الأزرق و المصفّى بالمناخل
لن يزيل هذا الشحم الليلكي

هذا العرق المتدلي كالسيف من حزامي

*

سامحني يا مولاي
إنني أحول كما تعرف
و لا أرى الأمور إلاّ كئيبة و ساقطة
و لكن انظر بعينيك الخضراوين
يا سليل تدمر و سومر
و بقية الدمامل المشعة كالياقوت
انظر إلى هذه الدموع المطروحة في المغلفات
إنه ليس انتظاراً هذا الذي نقاسيه
إنه صمغ في أسفل القدم
قبح في فوهة المدفع
رماد الأبطال يسقط في منفضتك يا جبان

و دم الأطفال ينقلب في جوفك كأمواج صيدون
ماذا تعرف عن الصبر و النضال
و لعق الطوابع في الزمهرير
لقد حرمتني لقمتي يا مولاي
لقمتي الصغيرة المجموعة من كل حقول العالم
و المتدحرجة همساً على طرف السوط و المقلاة .
لن ننتصر أبداً و البومة تنعق
لن ننتصر و السيف مجزأ .

*

الليل يحمل عرثلته كالزنبقة بين يديه
و يغرد على شجرة ما في الشرق البعيد
اجمعوا أظافركم
و ضعوها أمامي هنا على الطاولة

اجمعوا كل الشفاه التي قبّلت
و الأثداء التي انتهكت
هنا مع الصحف و الغلايين و أدوات الانتقام
إنني لا أصدق . . الشمس جميلة
و النوافذ تلعب مع بعضها كالخراف في المرعى
أن ابنتي تحبو الآن في الأفق
تسيل كالماء على العتبة
أريد أن ألتهم تلك الطفلة
و أدفنها في أحشائي كالسر .
أريد منجلاً يحصد كل هذه العيون الزرق
يختاً بربرياً يقلني و طفلتي إلى قبر رصاصي وراء البحار
حيث القمر يسطع
و النعاس يسيل مع الأحلام من زوايا العيون

*

اقبروا أطفالكم جميعاً
مزقوهم كالعملة الزائفة
ابعدوا رؤوسكم قليلاً أيها الزنخون كالوحل
دعوا الهواء الأزرق يمر
يصفر في الأدراج
إنني أرى سحابة تترجل من النافذة
قرية صغيرة بحجم الطفل تقترب مني
قرية خضراء كاملة بكل حقولها و أعراسها و طيورها
تحط على ياقتي كالفراشة
آه الصيف الصيف يا رفاق
الكلمات لزجة ، البنادق لزجة
إن أردتم النصر
أو الأيام القديمة ماذا أفعل ؟

أطلق رصاصة صغيرة في رأسك
ثقب صغير كفتحة الأنف
ينقذ شعباً برمته
من الشوق و التلعثم و جر الضحايا من الشوارب .

*

أصغ إلي يا طاغية
دمك ليس دماً فينيقياً أو عربياً
و رأسك الأصلع لا يحمل التاج الذي رويناه
نريد رأساً مجوّفاً تجلس عليه أمة بكاملها
جلدك الأملس ذو المسام المستوردة
و الذي لم يتسخ ولم يجلد في حدائق الورد
لن يعبره هواء المنفى

*

لست جائعاً يا مولاي
عيناي رغيفان زرقاوان
إنني أحترمك كرجل غاضب فقد أشياء عزيزة بلا معنى
فقدتُ الطيش و الكبرياء
و النهدين الوحيدين اللذين لي في هذا العالم
لقد تركت معدتي و أظافري و كبريائي في مراكز الاستعلامات
و صعدت السلالم بإعياء
بين رؤوس حليقة يغطيها الندى
لأحدثك عن مرارة الفم في الصباح
عن الياقات اللزجة
و الفقر المتمسك بي كالخناق
دع عيوننا تلتقي
لا كأعداء منبوذين

بل كأعداء شاهري السلاح
في الزرائب و الوديان المشجرة
حيث لا أرصفة تعرفني
و لا شمس تصفع السلاح
حيث لا نرى غير وميض الأساور و آلات الاختزال
الأميال الطويلة التي اخترقناها تحت جنح الظلام
لم تعد طويلة أبداً
و لم تعد قصيرة أبداً
إنها قبور مشمسة لا شواهد لها
عظام نتنة لأبطال مقهورين
ماتوا و فضلات الطعام بين أسنانهم
و حزم النقود تلمع في جيوبهم و أحشائهم
لا جوعاً و لا طيشاً

و إنما من أجل الكلمات الصعبة و المنقّاة
من أجل الحبكة القصصية
و الغيوم التي تساق بالسياط نحو المزارع
عظام الحضارة كلها
عظام الموت و الكفاح و الشكيمة
تتفتت كلها و تذوي كورق الصفصاف المشتعل .

*

سوريا
أيتها الحبيبة و المفدّاة
يا بواخر الشرف التي لا مرافئ لها
نعرف أنك أبية لا تطلبين النجدة
لو مزقوا أجسادنا بعدد نجومك
لو شطروا أطفالنا كالإسفنج

و نشروا دماءهم على مطالع الكتب و التماثيل
لن نخونك يا حبيبة
أبداً من خلف الشوارع و النجوم و الأدغال
من خلف البكارات الرطبة و الدموع الزرق
سنرقب طيورك و قراك المزوبعة كأوراق الصحف في الشارع
سننغرس على حدودك كالكلابات .

*

أيتها العجوز الراقدة بثيابها وحذائها وتجاعيدها ومفاتيحها في حزامها
ألم تشتاقي لطفلك العجوز البعيد ؟
إنني جائع يا أمي
من عروة القميص أرى أطراف أحشائي .

لا أريد أن أكون قذرًا و لا معقماً
فلكل من الحالتين تبعاتها .

*

في القرى يدعو الأهل على الولد المشاكس أو قليل الهمة :
لتركض و رغيفك يركض
و لم أكن أعرف أن رغيفي
قد يدخل في سباق " دربي" الشهير

*

أحيانا الصمت أجمل موسيقا في العالم

*

أية أغنية تريدين ؟
و على أي إيقاع ؟
و ليس عندي سوى نقرات أصابعي

على قفا الصحون الفارغة
و خوذ الشهداء المجهولين

*

أية رقصة تريدين ؟
تانغو ؟
قد اعديك بسعالي و زكامي
فأنا مدخن عتيق
و فمي فوهة بركان

*

رقصة الغجر ؟
قد اكشف سوء طالعك
بقذف الودع بين الأفاعي و العقارب
و مسروقات العائلة اليومية .

*

رقصة البحر ؟
نحن وحيدان في زورق نجاة
فلماذا نلفت أنظار البحر إلينا .

*

رقصة الطاووس ؟
و هل أبقى شاه إيران أثراً لها
بعد أن قدم لضيوفه في إحدى حفلاته الإمبراطورية
ألف قلب طاووس كمقبلات!

*

رقصة الفالس ؟
سنقترب و نبتعد عن بعضنا
و نحن نلوح بالمناديل
كأنّ كلا منا مسافر في قطار!

و هذا يحتاج إلى تنهدات و نفقات .

*

سامبا . .رامبا؟
إن جسدي لين و مطواع كجسد جين كيلي
في رقصته الشهيرة تحت المطر
و لكن ماذا أفعل بهذا العرج المفاجئ
و لست بايرون لأخوض حرباً أهلية لإخفائه .

*

رقصة الحرب ؟
كل شيء إلاّ هذا . .
فاكسسواراتها و لوازمها مكلفة
سيوف ، تروس ، أوسمة ، شعراء ، مطربون
كيف أتحمّل أعباءها ؟

و أنا أحمل سبع هزائم متوالية على ظهري
و نفقات أيتامها و أراملها ؟
تكفيني أجرة المقرئين!

*

إذاً لنرقص!
لنجن!
لنقم بأي شيء غير معقول .
ـ : حتى بيكيت صار متخلّفاً و كلاسيكياً في هذه الأيام .
ـ : إذاً لننتحر!
ـ : الانتحار حرام!
ـ : و هل الشقاء حلال ؟

و أنا طريح الفراش بين السيوف و الرماح المبعثرة
فلسطين أريد شهدائي
إسرائيل أريد حطامي
أيتها الشواطئ أريد مرساتي
أيتها الصحراء أريد سرابي
أيتها الغابات أريد طيوري
أيها الصقيع أريد جدراني
أيها الشتاء أريد سعالي
أيتها العتبات أريد جدتي
أيتها العواصف أريد أشرعتي
أيها المطربون أريد تصفيقي
أيتها الأراجيح أريد أعيادي
يا ملكات الجمال أريد تنهداتي و شهقاتي

أيتها المقابر الجماعية أريد رفاقي
أيها الصحفيون أريد خصوصياتي
أيها الغجر أريد مقتنياتي
أيتها الرياح أريد مذكراتي
أيتها القارات الخمس أريد أبنائي و أحفادي
أيها الله أريد صلواتي
أيها الجيران . .أيتها الذاكرة الإلكترونية :
أريد أوصافي .

آخر تانغو في الصعيد

إعصار جديد في أميركا
حوت جديد في اليابان
أرز جديد في الصين
زهور جديدة في هولندة
سجاد جديد في إيران
قريدس جديد في الإمارات
قات جديد في اليمن
طائفة جديدة في لبنان
لغة جديدة في الجزائر
كنيسة جديدة في فلسطين
جامع جديد في السودان
هرم جديد في مصر
مصيبة جديدة في العراق

*

أيتها الأغصان الباردة كأطراف الموتى
أيتها المواهب الذابلة في ربيعها الأول
أيتها السجون المزدحمة بالأحرار
أيتها القطارات الغاصة بالمهاجرين
أيتها الخطب المرتجلة من الشرفات
أيتها المسيرات المعطلة في كل مكان
أيها المتثائبون و المتثائبات :
في المطابخ
في المقاهي
في الحقول
في المدارس

في المعابد
في الفنادق
في المسابح
في المباغي
في المعسكرات . . .
أما من عبد الناصر جديد و لو برتبة عريف ؟

تحت الاحتلال

إنني في رعاية دائمة لا بأس بها
الشمس تحميني من المطر
و المطر من التجول
و التجول من اللصوص
و اللصوص من التبذير

☼

أزمة المواصلات تحميني من المسرح
و المسرح من الشعر
و الشعر من الصحافة
و الصحافة من الإهمال
و الإهمال من الوحدة
و الوحدة من القراء
و القراء من الحب

المرض الوحيد الذي أريد أن أقع فيه دون إسعاف
لأنه يحميني من الوحدة و الجوع و العطش و السجون و السياط
والدبابات و كل جيوش العالم . . . بعد تسريحها طبعاً!

اشتقت لحقدي النهم القديم
و زفيري الذي يخرج من سويداء القلب
لشهيقي الذي يعود مع غبار الشارع و أطفاله و مشرّديه

❊

في الشتاء لا أشرب أيّة زهور أو أعشاب بريّة في درجة الغليان
بل أنفثها بعيداً إلى ربيع القلب

❊

و اشتقت لذلك الحنين الفتيّ المشرّد و قد ضاقت به السبل
فيبكي كسيف عجز ولم يشهره أحد ولو للتنظيف منذ آخر معركة
أو استعراض

❊

و لتلك الأيام التي كانت الموجة فيها تقترب من البحارة الأغراب
ملثّمة كالبدوية المهدور دمها .

❊

و لو كان الأمر بيدي لقدمّت وسام الأسرة
للصخور ، والمشانق ، والمقاصل ، وساحات الرجم وسياط التعذيب
لاعتقادي بأنها من عائلة واحدة فرّقتّها الأيام

❊

و الدموع الغريبة لا أصدّها
بل أفتح لها عينيّ على اتساعهما
لتأخذ المكان الذي تريد حتى الصباح
و بعد ذلك تمضي في حال سبيلها
فربما كانت لشاعر آخرا .

شريعة الغاب

كما كانت الشعوب البدائية تقدّم للنيل أجمل عذراء كل صباح
لتفادي غضبه على الصيادين و المزارعين
أريد كل صباح أجمل وطن لتفادي غضبي و ثورتي
ثم ، الخمر المعتّق ، محارات الشواطئ ، اسماك الجنس ، عروق المرجان ، زبيب التسلية ،النسيم العليل ، نايات الرعاة ،أجراس القطعان ، وتعب المساء ، و نشاط الفجر ، و صلوات المحن ، و أدعية المآزق ، هي نفقاتي السرية أبعثرها يميناً و شمالاً و على من أريد .

❋

ثم المطر . . الضباب ، و الأشباح مرافقة دائمة لموكبي ،
و الرعد و البرق فتوة الغيوم الشعبية فوق رأسي ،
و الشمس و القمر و النجوم كبار القوم أهل الرأي فيها .

❋

ثم شروطي للإقامة في أي وطن

أن تتغير حدوده يومياً و علناً كثياب العرس أو الاستحمام
و أن تعاد كتابة تاريخه بحيث يكون لآبائي و أجدادي اليد الطولى في البطولات و الإنجازات .
و أن تدفن النفايات النووية بكل خشوع و إجلال على الطريقة الإسلامية و بمرافقة و تلاوة أشهر المقرئين و المنشدين .
أن يعاد الاعتبار لكل تلميذ أو طالب كان ترتيبه الأخير في صفه و تتدفق الوفود إلى دار ذويه للتهنئة و المباركة ، و الأكثر غباء يوفد لمتابعة الدراسة و التحصيل العلمي على نفقة الدولة .

❋

و تحسّباً لأي هجوم على أي خط دفاعي في الليل
يضاء هذا الخط بالمصابيح و الشموع كالكنائس في عيد الميلاد
و أن يصافح المبدعون في أي مجال بالأرجل لا بالأيدي

و يطردون من ديارهم و تصادر أملاكهم و يجردون من جنسياتهم .

❋

أعرف أنها شروط تعجيزية . . .
و لكن لتعرفوا أية شروط تفرضها عليّ القصيدة قبل كتابتها على صفحاتي المفروشة بالورود و الدموع و التوسلات .

كان عزمي بك
زلزالاً رياضياً ممشوقا
يرقص كل عضلة في جسده العملاق حتى أذنيه و أنفه
و امتداداته تبحث دائماً عن مخرج من قمم الفكر و الإبداع
وهو يعشق الفاكهة والخضروات ويحيطها بهالة من التقديس والاحترام
بحيث يعتبر من يأكلها أو يقترب بأسنانه منها وحشاً بشرياً
يجب أن يطارد حتى جباله و مغاوره
فهو مثلاً يرى في ثمرة الفليفلة الخضراء وجودية سارتر وعدمية كامو
و في الحمراء إلياذة هوميروس
و في الفاصولياء ملحمة جلجامش
و في اللوبياء أصابع شوبان
و في الرمان كافكا الفصول
و في عنقود العنب عبقرية موزارت و ضحكته الطفولية الساخرة

و في الموز حواجب كليوباترة
و اكتشاف البندورة يعادل اكتشاف الكهرباء أو أميركا
أما البصل السلموني الشهير فهو وراء روائع المتنبي وكرامته وإقدامه
أما الكستناء و الخرمة و الكيوي
فيعتبرها فاكهة شبابية تذهب و تجيء دون أن يحس بوجودها
كمطربي و شعراء هذه الأيام .

*

و كان يقيم في بستان على ضفة جدول ينبع و يغيب في أملاكه
و ضيوفه رجالاً و نساءً أكثر تنوعاً من الفاكهة و الخضروات ذاتها :
طلاب ناجحون أو راسبون ، معلمون ، مفتشون ، حدادون ،
نجارون ، رياضيون ، شعراء ، نقاد ، مطربون ، عاهرات ، قديسات في سن
اليأس أو التجنيد يجمعهم الفضول و حب الفكر و الأدب :
هذا يقشر الفول

و ذاك يشوي الباذنجان
و تلك تفرط الرمان
و شاعرة تقطع البندورة
و ناقدة تهرس الثوم
ومطلقة تتذوق جميع الأطباق لتقدر وتوافق على ملوحتها ونكهتها
بانتظار لفائف الشواء من اشهر مطاعم المدينة .

*

ثم عصفت الريح بالشواء و غير الشواء
فباع بستانه الواسع و استقر في آخر أصغر
ثم انتقل إلى حديقة
فحاكورة
فمسكبة

ثم إلى كهف

فإلى ممر بين عدة وجائب و أدراج متداخلة كأسنان الملاكم الخاسر في جولته الأخيرة .

*

و في التوقيت العالمي و الأممي للتمدد و التثاؤب و طرد الغازات في سماء المنطقة اسلم الروح في مأوى العجزة و هو يتمنى أن يُقرع جرس منزله أو هاتفه و لو عن طريق الخطأ!

مطرقة و منجل و عمامة
سنفتح هنا
سنسد هناك
سنحفر
سنطمر
سننكش
سنعزق
سنزرع
سنحصد
و أنتَ كش الدجاجات
و أنتِ احلبي البقرة
و أنتَ اسلق الذرة
انزع

اقلع

ادهن

اكنس

الصق

افتح

أغلق

هذا هو أبي في بضعة سطور . .يعشق القرقعة و الطقطقة من أي مصدر كان

و لذلك عندما أسلم الروح : المطرقة بيده و المسامير في فمه

و مُدد في تابوت شعبي مستعمل ،انفتحت إحدى خشباته ، فسارع أحدهم و عالجها بالمطرقة ، علقت أختي مريم باكية مزغردة : أبي الآن في قمة السعادة ، مطرقة و مسامير من حوله ، إنها الجنة التي طالما عمل و صلّى لأجلها .

و كان الله و الربيع في عون الشجرة التي يقع اختياره عليها لتقليمها ، إنه لا يبقي على غصن أو نتوء دون أن يعمل به سكينه وكأنه حلاق سابق في أحد المعسكرات النازية .

و في يوم من الأيام ظهرت له شامة صغيرة في زاوية جبينه فلم يبال بها ، و لأنه دائماً متفائل لا يعرف اليأس و لا يثق بالأطباء فقد اخترع لها مرهماً من قشور الجوز و اللفت و حبة البركة ، و يبدو أن هذه الأخيرة استجابت لإيمانه و انتشرت و غطت جبينه حتى و صلت إلى الأذنين كأنها مستوطنة إسرائيلية .

و كان يحب صوت سميرة توفيق و يعشق الملح و كأنه ولد في البحر الميت و يعتبر رغيف الخبز عاصمة الفقراء في العالم حتى لو كان بدون ملح!

و عاش و مات و دفن في الأرض الخضراء و الحمراء كبطيخ قريته و علم طائفته .

عاصفة رملية

في صندوق عرسها المصدّف
و بين كعك المناسبات و جيوب الأمانات و الحناء و عروق الغار
والريحان و الذكريات
كانت قفة التمر السنوية تربض كما يربض الكرملين في الساحة الحمراء
و تجلس أمي إلى معجنها عند الفجر
و تغني للغائبين أن يعودوا
و للمرضى أن يبرؤوا
و لا يهدأ لها و لعكازها بال
حتى تعرف عدد الموتى و المحتضرين في قريتها
و عدد حوادث الطرق
و الثأر
و الاغتصاب
و التوقيف

ومن دعي إلى الخدمة الإلزامية ومن سرّح
والآبار والينابيع والأقنية المائية والتلفزيونية
وساعات البث ليل نهار
و العمليات الفدائية في لبنان
و مسار المجاعة في السودان
و رواد المعابد و الحانات و محطات السفر
و مواليد السكان و مواشيهم كل صباح
و ماذا حل بأبناء عبد الناصر و انطون سعادة و كمال خير بك
وفرج الله الحلو وغيفارا
وأم الشهيد عدنان المالكي
و تزغرد في كل عرس و لو لم يكن يخصها في شيء
ثم تدفن المشمعات و أطباق القش الملونة
و لا تأكل إلاّ الحثالة

*

و عندما قضت ذات مساء
عرقل فلاح بسيط إجراءات الدفن
بدراجته النارية الهرمة وصرخ وهو يبكي بمرارة وسط سحابة من
الغبار :
لقد ماتت سلمية!

*

و بالفعل ماتت كقرية
و هاهي مسجاة على حدودها الصحراوية النائية
مكشرة جغرافياً و زراعياً و صناعياً و سياحياً و أدبياً
في وجه كل غاز و دخيل و طاغية!!

إلى مقرئ منتصف الليل[1]

(١) الشيخ محمود خليل الحصري

أيها الصوت العميق كالذكريات ، كحفر القنابل
أعدني إلى البصرة . . إلى تهامة
وصيفاً للأميرات
أو راوياً في مجالس الملوك
لا تتركني وحيداً أنا و صرتي
على قارعة القرن العشرين .

*

ماذا أفعل بهذه المدن و اللافتات و الشوارع
لست راقصة لأعيش تحت الأضواء
و لا بطلاً لأحيا بين الجماهير
إنني مجرد بدوي مشقق الروح و القدمين
يضع خفه تحت إبطه
و ينتقل من عصر إلى عصر
كما ينتقل المشرد من قطار إلى قطار .

أبتها الكلمات المزخرفة كمقابض السيوف
و الأيات المتشابكة كالزيزفون في الربيع
بك أحتمي
و بك أستجير
عندما تنزع الأوتاد و ترغي الجمال و تطفأ النيران
ادرجوني أنا و اسمي و ذكرياتي و أحلامي
كبساط . . كخيمة
و انقلوني تحت ضوء القمر
إلى أعماق الصحراء
إن رائحة الإبل
تعشش في صدري كحليب الأم
و حداء القوافل الغابرة
يتعالى من قمة رأسي كدخان البراكين .

الملك

زكريا تامر ملك السخرية و القصة القصيرة في العالم . . .

يعرف و يلمّ بكل شيء على سطح الكرة الأرضية من الزراعة والصناعة و الكيمياء و الفيزياء إلى الأدب و الأديان إلى الفلسفة والعلوم الطبيعية و النفسية و يصف الأدوية لكل العلل و الأمراض وقد يعطيك بعضاً منها من تركيبه الخاص و لكن على مسؤوليتك!

و يعرف ألف طريقة للكتابة و القراءة و حتى السباحة و الرياضة

و ألف طريقة أخرى لتقشير الفاكهة و الخضروات ما عدا تقشير أو تقميع "الباميا"

فلا يعرف إلاّ طريقة واحدة حفظها عن أمه رحمها الله و طلبت منه المحافظة عليها من أجل سمعة الحارة .

و لكنها اصطدمت بطريقة زوجته التي ورثتها عن أجدادها الأتراك و طلبوا منها الاستمرار فيها مهما ارتفعت أماكنها و مواقعها .

وكاد الطلاق يحدث بينهما من أجل "الباميا " لولا وصولي في الوقت المناسب إلى شقتهما المستأجرة في حي الإطفائية التجاري في دمشق .

*

فيا أيها الفلاحون و الخبازون و خاصة الحدادون زملاء المهنة القديمة :
خففوا عن هذا النيزك المقهور .
فهو منكم و إليكم
ابعثوا إليه بحزمة من أشعة الشمس إلى مسكنه الغارق في ضباب لندن
فهو في هذا الشتاء لا يرى سريره و أطفاله
و لا يفرّق بين حذائه و دفاتره
أتقنوا حنينكم إليه و أنقذوه من سباته الثلجي و تثاؤبه المتواصل
لأنه لا يعرف كما يقول إن كان دليل نعاس أو استيقاظ
إنه وحيد و ضائع كدخان القطارات
و لا حسب و لا نسب له سوى العراء!!

يوسف الخال
أنت من احتضنتنا بأسمالنا ، وقملنا ، وجوعنا ، ورعبنا ، ودموعنا ، ولسعات السياط على ظهورنا من البلاد التي جئنا منها .
وأعطيت لكل منا :
سقفاً ليقيم . .
ورغيفاً ليأكل . .
ودفتراً ليكتب . .
ووسادة ليحلم . .

* * *

نعم أنت المسمار المقتلع من إحدى راحتي سبارتاكوس
لتعلّق لوحة لرفيق شرف الحافي القدمين بين أعمدة بعلبك وخرائبها
وأيّ شيء للعطّار الأميّ "أبو صبحي التيناوي" في بزورية دمشق

أو على الجدران التي ضمّت بشائر النبوغ والإبداع في الشعر والنثر
في صحارى هذا الشرق اللانهائية
وأنت بجوربيك الأحمرين الشهيرين
مثل مخلص يلف ساقاً على ساق بين أتباعه وحوارييه

* * *

وكانت الصحون العربية والأعجمية فارغة
والجميع على الطوى
وكنت تبحر صباح كل يوم في طلب الرزق كأي صياد عجوز
لكومة من اللحم والدفاتر والأحلام في كوخه البعيد
ولكن من رأى رأسك المعمم بالدفاتر البيضاء
على قارعة السرير
وقدميك العاريتين
جاهزتين لملاقاة أمهما الأرض

بل من يذكر الهدهد المتواضع بين طيور الواجهة الآن؟
أنا أذكر وأتذكر
فما زلت كما عهدتني بكل عاداتي وتقاليدي وأخطائي اللغوية
والاجتماعية التي جئتك بها
ومازلت موضع سري
كما في ليالي الشتاء الغابرة
إنني أحلم أكثر مما أكتب
ولكنها أحلام تتطور ليلة بعد ليلة إلى كوابيس رائدة
ومستمدّة من كل أديان الشرق وعاداته وتقاليده
حتى لأفكر بإقامة معرض متنقل لها في كل أرجاء العالم
ثم أقيم لها متحفاً دائماً كاللوفر تماماً وفي باريس ذاتها
ولكن عاصمة الظلام لا النور
لأن "كارلوس" مازال سجيناً وراء قضبانها .

سندباد صحراوي

كان أميراً في كل شيء ، في مجتمع يعيش على الكفاف
و بين عينيه الواسعتين كنظارته الشمسية ، و رأسه الأصلع ، وحذائه اللامع ، و خطه الأنيق ، و اختيار الهدف ، و دقة التصويب ، شبكة مواصلات لا تنتهي من القحة ، و المروءة ، و التهريج ، و حسن الإصغاء .

في سلمية
في البلعاس
في اللاذقية
في القدموس
في مصياف
في دمشق
في بيروت

لو عرضوا عليه منصب سفير أو وزير أو إمارة بكل امتيازاتها ، لفضّل عليه مقلباً محكماً بأحد أصدقائه ، مهما كان لصيقاً به أو مقرباً منه .

و قد يدفع ثمن لقمته نفقات سفر و تمويه و أختام و طوابع ورشاوى مقابل أن يرى أحد هؤلاء في مأزق أو على شفا هاوية مقابل أن يكون المنقذ و الملجأ الأول و الأخير .

و قد أوصلت إحدى فكاهاته هذه بقزم معتوه من أبناء جلدته مهووس بالشراء و السيجار الفاخر و الشابو و كل ما تأتي على ذكره الروايات البوليسية الشهيرة ، إلى حلف الأطلسي و ليصبح عميلاً مزدوجاً له و لإسرائيل ، و يغرق بكل ما كان يحلم به من جنس ومجد و فراء و مجوهرات .

لتوقعه أخيراً بين أيدي عناصر من أيلول الأسود و يمزقوه إرباً في عقر داره في باريس .

ليفتح صفحة جديدة مع مغفل ثقافي آخر من رعيته ولكن من باكستان .

مؤلف الديكتاتور ، و كارت بلانش ، و شاعر قصائد ناقصة
و موقّع أرقى صفحة ثقافية في لبنان
دُعي بهذه الصفة إلى زيارة اطلاعية للعراق الشقيق و ليلة وصوله على الطائر الميمون ، اقتحم غرفة نومه في الفندق عدد من حراب الرئاسة في تلك الأيام و اقتادوه إلى أعماق الصحراء لبضع ساعات أعيد بعدها عبر أجواء الأردن الشقيق و من ثم الأراضي السورية الشقيقة ، ليصبح بعدها شاعر المهدئات و المسكّنات والمرتفعات والمنخفضات و المنعطفات ، و حوادث الطرق في لبنان و المنطقة كلها .

*

و في ذروة الحرب الأهلية اللبنانية و هجرة العقول و البطون الحالمة ،حط به الزمان في فرنسا الصديقة و في باريس بالذات حيث كنت ألبي دعوة أدبية ، فالتقينا في احد مطاعم الحي اللاتيني أو بالاحرى في كهف أو مسلخ يعج بزبائن من جميع الأجناس وضوضاء و صراخ بجميع اللغات

موائد متلاصقة و جدائل و شرائط و أساور و أقراط و وشم سيوف و رماح و خناجر على كل صدر و جبين و ظهر
و وضعت أمامنا بلاطة خشبية تكدست فوقها أكوام من أفخاذ وأعناق الطيور و الحيوانات الأليفة و المتوحشة ، و ساطور أو بلطة بحجمها يقطر منها الدم للاستعمال الشخصي و الجماعي .
وتأمّل عصام المنظر برعب و دهشة و تمتم بلهجته الجنوبية الرائعة :
هكذا تفعل أميركا بالعالم
و خرجنا من هذا الخم الكوني إلى الفضاء و تابع تمتمته و نحن نتمشى على ضفاف السين ذراعاً بذراع :
أميركا وراء جنون نيتشه و فان كوخ
و انتحار لوتريامون و همنغواي و خليل حاوي
و صمم بيتهوفن
و صرع ديستويفسكي

و كآبة شارلي شابلن
و تشرد رامبو و ابراهيم سلامة
و خطف كارلوس و اختفاء موسى الصدر
و إعدام لوركا و انطون سعادة
و جفاف الأنهار
و هجرة الطيور
- و الحل ؟
- سأشد رحالي إلى الهند ، إلى اليابان ، إلى الصين الرفيقة ، وأنت ؟
- : سأعود إلى قريتي و قصائدي القديمة .
- : و أنا كذلك .

مشروع زلزال . . .

تعرفت على نزار قباني في مقهى الهافانا
و البرازيل و الكمال الصيفي و الشتوي أنيقاً كخط كوفي
و أسلوبه في تحقيق أهدافه و أحلامه بدائي كجرائم الهواة ،
غزيراً كإبر الجدات و الساحرات في حارات دمشق و سبأ
وغرناطة . . .
جرحاً سطحياً في جبهة الشعر العربي و لكنه جرح مهيب وساحر !

*

بدعوة من الصديق المشترك رياض نجيب الريس التقينا في لندن
عاصمة الضباب
و اختصتنا سونيا فارس أشهر مصممة أزياء في باريس مع أخت
تشكيلية نسيت اسمها بعد كل هذه السنين . . .
و تصدّرت صالة الضيوف بانتظار ما يقدم لي في سهرتي
الصباحية الخالدة

وإذ بنزار يخـرج من المطبخ على صـدره مـئـزر مـزركش وطلب مني النهوض لمساعدة المضيفتين في إعداد المائدة ، فقلت له حاسماً النقاش :

و الله ما جئت من سلمية إلى دمشق إلى بيروت و سجنت في المزة و الشيخ حسن و المية و المية و جعت و تشردت و قملّت كل هذه السنين لأقشر البصل و الثوم في إحدى شقق لندن المجهولة !

فنعتني بالمتخلف و البدوي و النوري و القرباطي و بسوء التربية ، ثم استطرد كما في حلم : ألا تعرف ما هي المرأة ؟

إنها بلبل ، كنار ، فراشة ،ريشة ،سنبلة ،أسطورة

وتركني وهو يبكي بصدق ومرارة على بلاط لندن العتيق المتعجرف!

و لم اسمع بقية حديثه إلا بعد سنوات في مكتبي في مجلة الشرطة بدمشق و هو يسند جبهته على كتفي و الدموع تغطي وجهه وقصائده .

❋

و عادت حليمة إلى عادتها القديمة
لا يرى من المرأة إلا نهديها
و من الجبال إلا ذراها
و من الغابات إلا ثمارها
و من البحار إلا لآلئها
و من الطائرات إلا درجاتها
و من خطفها و تهديدها إلا فديته
و من الحروب إلا غنائمها
و من الجوامع و الكنائس إلا زينتها
و من جرائم الشرف إلا سهولتها و تبريراتها

و هو لو جاع أو تشرد أو أمضى ليلة واحدة من حياته في سجن أو مخفر أو يوماً واحداً من خدمة العلم بألفاظ المدربين المعهودة لكان رامبو العرب بلا منازع

و مأساته الكبرى أنه كتب عن حرب السويس والعدوان الثلاثي وعن أهم القضايا المحلية و العربية و الدولية و الوطنية و الدينية والتكتيكية و الاستراتيجية ، بقلم حمرة !

الصفقة

إلى ممدوح عدوان

ممدوح . . أنت تحب مصياف
و أنا أحب سلمية
و كلانا ديك الجن في مجونه
و عطيل في غيرته
فلنصطحبهما إلى أقرب حانة أو مقصف
و نبثهما أشواقنا و أحلامنا و همومنا
و لأن مدينتي بدوية لا ترتدي شيئاً تحت كرومها
فإياك أن تطرف عينك عليها
و إلا صرعتك في الحال . . !
لا تصدق . .
إنني أهوّل عليك لا أكثر
كما كان سليمان عواد يهوّل على أمير البزق
مهدداً إياه بلفافته الخصوصي للجيش .

أتذكر تلك اللفائف ؟
و ذلك السعال المديد المتقطع
كالتدريبات الأولية في المستعمرات على نشيدها الوطني .
و مع ذلك لا أقلّ عنك جهلاً في هذه الأمور .
فللآن لا أعرف سعال الشاعر من سعال القارئ أو الناقد أو المترجم أو الراوي
لا أعرف سوى سعالي !
صحيح أن معظم التبوغ مصنعة
لكن سعالي طبيعي و مكفول لمئة سنة من العزلة .
و أتمنى أن يعزف قريباً
في المعسكرات و المدارس و على الأقل في دور الحضانة
فلن أقلع عن التدخين ، و لماذا؟
و مختلف أنواع السموم تحيط بي من كل جانب كقشرة البيضة

كاللباس الهتلري في القطب الشمالي !

*

و الآن دعنا من كل هذه الترهات
أريد خزعة من رئتيك و جبينك و حذائك
إن نسيجها أكثر ديمومة و مماطلة من قلعة مصياف و جبال دير ماما . .
و أكثر فطنة و دهاء من أعلام الغزو في الظلام
و أنا واثق بأنك ستزهر من جديد كالوراقة و في عز الشتاء

*

و إذا خطرت لك زيارتي حيث أقيم
فعلى الرحب و السعة
و إذا لم أكن موجوداً
فسعالي يقوم بالواجب و أكثر

ترحيباً و تهليلاً و عناقاً
حتى الغضب و الانفعال
و التظاهر إلى جانبك في أي مكان
و لأية قضية .
لأنني قد لا أعود أبداً
فمدينة لا يوجد فيها مريض نفسي أو عقلي حتى الآن
لن أبقى فيها دقيقة واحدة !! .

رثاء مؤجل

بعد احتلال الكويت عام ١٩٩١م أصيب رفيقي و صديقي الياس مسوح بالجلطة الأولى
و عند تحريرها على أيدي القوات الأمريكية أصيب بجلطة ثانية
و في " أم المعارك " أصيب " بأم دم "
و رغم أنني انتهيت بعكاز واحد و هو بالثنين و بأنابيب الأوكسجين في فمه و أنفه و بنطلون من الأوردة و الشرايين الصناعية
ظلَّ مرشدي الطبي و العاطفي و اللغوي و الاستراتيجي
ثم انصرف إلى قريته مرمريتا للإشراف على المرضى و المعوزين من أبناء جلدته
و انصرفت أنا إلى حالي بعد أن فقدت القدرة و المزاج لمتابعة أية أخبار
و ما من صديق موثوق بجانبي
و لا أعصاب تحتمل واقعاً جديداً وخريطة جديدة وأحلاماً جديدة
حتى مجريات الحرب الراهنة تتناهى إلى مسامعي صدفة من الجيران أو مندوبي المبيعات المنزلية من مكانس و منظفات و غيرها

و بما يمضي من الوقت أقضيه متثائباً في فراشي على مدار الساعة
و كنا نتبادل :
السلامات
و التحيات
و القبعات
و القمصان
و أسماء الأدوية
و عندما احتفل كل منا بعيد ميلاده السبعين
تبادلنا الأنخاب
و لم يبق ما نفعله بعد ذلك
سوى تبادل القبور و المقابر

*

و فجأة صرخت :
أي فجر عظيم اختفى ؟

لم أكن مستعداً لكل هذا الظلام
كنت أعتقد أن كل شيء مؤجل
حتى يصفو الجو و تندثر الفلول
بعد أن طاردناها و طاردتنا طويلاً
و يقتنع التاجر أنّ هناك حساباً آخر
غير المدوّن في دفاتره
و أنه سيتم ترسيم الحدود بين الجنة و النار
و الحزن و الفرح
كما ترسم حدود الممالك و الإمارات
بعد أن تضع الحرب أوزارها
و يستقر طوفان الدماء على رأي !
و مع ذلك
كل هذه الدموع التي كنت سأذرفها

في المآسي المقبلة
رهن إشارتك .
و لكني مضطر لتقنينها لأننا في زمن حرب !
و أنت تعرف قبل سواك
كم يلزمنا من دموع و مناديل و دق صدور و لطم خدود !
هل نستوردها من المسلسلات المصرية و الهندية ؟

*

عل كل حال
بأجمل الأقلام و الألوان
سأرسم الهلال الخصيب على قبرك
و أجمل الزهور و الفراشات
و الطيور التي كنت بارعاً في اصطيادها

و لكن المشكلة كما يقول أحد اليتامى :
" ما من قبر جميل في العالم " !!
و مع ذلك سأرسم عليه نجمة داوود
لتكون كلمتك مسموعة في الدنيا و الآخرة .

لبلابة القدر

ثمة لبلابة غجرية عملاقة
لا تستقر في مقعد أو على عتبة أو في مكان ما
و تستغل أي خطأ لتصفق الباب وراءها
متحدية النار المستميتة لبلوغ أي هدف
لتجني من كل بستان زهرة أو أغنية أو قصيدة
وتورف على أغصاني العارية في الفضاء

*

عيناها مبطّنتان كمعاطف الرياح الجبلية
و أهدابها نسيم بحري في يوم نزهة
كل من حولها يسكر و يخمر كأنها ولدت في عريشة
و لو كانت في الجاهلية لما فاتتها ملاسنة أو مقارعة أو منازلة أو أخطأها سهم
و لوئدت بمباركة كل القبائل بلا استثناء .

*

و هي ذات عاطفة جيّاشة
فالشعراء الذين تحبهم تعاملهم كأطفالها مهما أخطؤوا وطاشوا وتبذّلوا
و للحب في قلبها موقع خاص تختلط فيه عاطفتها و أسنانها
وسمعتها و ثقافتها و حرمانها و نزهاتها في قبلات لاهبة مضنية
كالقدر كالرمضاء .

*

و كل من يلجأ إليها تأخذه بأحضانها
و تسعفه مما تبقى من حليب صدرها
و هي واسعة الإطلاع و المعرفة
سوربون متدحرجة في كل مكان
تنقل كنوزها لمن يريد حتى لقطاع الطرق
كما تنقل طيور الحب فراخها
و الحمامة الزاجلة رسائلها

و لكن شريطة أن تعرف مسار كل ريشة
و مضمون كل رسالة
و لو كانت بخصوص تزفيت شارع
أو نقل ساعي بريد .

علي الجندية
ربيب المغارات المسكونة
و أمير الكدمات الشعبية
عندما ينام الآخرون . . يستيقظ
و عندما يضحكون يبكي
و عندما يبكون يقهقه
و عندما يأكلون يجوع
و عندما يضعفون يقاوم
و فيما يلجؤون إلى بيوتهم هرباً من العواصف
يخرج و يتحداها
و لا يهنأ له بال إلاّ إذا استقر على جذع شجرة
أو في قاع بئر
ثم ينهض إلى الكروم و الخرائب و المستنقعات
حتى الوحوش و الطيور الكاسرة و الغيوم المنخفضة

تبتعد متحاشية طباعه و ردّات فعله .

❊

دائماً هناك فج في رأسه
أو ورم في عينه
أو رعاف من أنفه
و في حزامه فخ أو مقلاع
و في يديه طائرة أو سفينة ورقية
و في جيوبه خبز و دحل و مسامير
و حول بيته شرطة و رسل من المختار ، أو مراكز التجنيد .

❊

و في بيته عارضة متدلية سرج حصان ، كرسي ولادة ، جرس دراجة ، قفة فارغة ، فردة بوط عسكري ،سطل طلاء ، بوق فونوغراف ، منخل ، وكر نمل ، و كتاب للمنفلوطي أو جبران .

❊

و لأنه لا ينام حتى مطلع الفجر ، و على فخذيه خدوش ،جراح ، آثار صعود و نزول ، فقد كانت الطيور و الحيوانات و طرود النحل المنزلية ، ما إن تسمع سعاله أو صفير صدره حتى تنطلق مزغردة بأقصى سرعتها إلى حقولها و مراتعها لترى ماذا أتلف منها و على ماذا أبقى ؟

❊

و لأنه كان في كل مناقشة أدبية أو عاطفية أو تاريخية أو حتى زراعية مهما كان فحواها و مستوى و عدد أطرافها " مستشاري العضلي " بلا منازع !

فقد قضى رحمه الله و مسودات قصائدي التي لم تنشر و لم تكتب بعد منقوشة على قفا قدميه الحافيتين أبداً كأقدام الطيور !

بطل لغير هذا المكان و الزمان

مع أنه منضد بارع ، و منسق ألوان لا يجارى في أوسع الصحف المحلية انتشاراً

ففي لحظة واحدة كان يمزق و يحطم كل شيء أمامه كالفهد المحاصر .

انه سوقي ، وقح ، وسيم ، مهذار ، شبق ، فاجر ، شاعر ، ودائماً على وشك البكاء

و لذلك يصلح لأن يكون أي شيء ، إلاّ أباً ، و لو ابتسامة واحدة !

❊

كل أنواع الشامات و الخيلان و الثآليل و البثور و المقرنصات والمنمنمات الدهنية و الفراغية على أصابعه و يديه و عنقه و صدغيه وفمه و بين حاجبيه ، تتخللها أوردة و شرايين شاحبة تسبغ الزيزفون الأخضر .

و لذلك يبدو خليطا من رامبو و موزارت و توفيق الحكيم .

بل و يشبه إلى حد بعيد ، بقبعته التي استعارها من أحد المشاجب العامة ، أحد عمال المناجم المعيلين في عطلة يوم الأحد .

❊

و في حقيبته اليدوية الملتصقة بصدره كأنها قلب إضافي ، كل ما يحتاجه مقامر الصدفة على درج مبنى ، أو في صالون دائرة رسمية ، أو في مرآبها .

و زجاجته و إحدى خواطره في حقيبته اليدوية منتحلاً صفة حلاق أو ضائع أو مجاهد أفغاني ليعفي نفسه من أية مسؤولية .

. . .

و هو يقامر على أي شيء حتى على الضباب

ودائماً له فلسطينه الاقتصادية والأدبية ، والجغرافية ، والتاريخية .

و لا أتخيله إلاّ في الآخرة ،يذهب و يجيء تحت المطر و قد تأخر به الوقت بين باب الجنة و باب جهنم ، يخبط حقيبته اليدوية على الأرض صارخاً :

و ماذا بعد ؟ هل أنام في الشارع ؟

*

و مأساته الكبرى أن أحلامه في التعبير عن مشاعره بالكلمة أو الصورة ، أو السخرية أو أية وسيلة أخرى أقل بكثير من قدراته وامكاناته .

و لذلك انفجر كالقدر على نار هادئة !

*

رحم الله الصديق الحنون . . .أبو غسان . . .

و أسكنه فسيح جنانه أو سطوحه أو شوارعه . .

إلاّ إذا أعيد مرتجعاً مع الشكر ! ! .

حرب النظارات

أنا برداء العروض
و حمّى السجع
و هذيان المقامات و الربع الخالي ،
و لولب في رحم هذه الأمة
لتكف عن الانجاب :
صحراء اثر صحراء
و نخلة اثر نخلة
و سرابا اثر سراب
و حزيران اثر حزيران
لهذه الطغم و الشعوب الفاسدة و المفسدة !

*

أدونيس . .
أيها النسر المتواطئ مع أعتى الرياح و العواصف !

أنا معك حتى الموت في مسيرتك المظفرة . .
تحت وابل من القشع و السعال
و القيح المعمّم كالبيانات الرسمية .

*

و لكنني سأخلد قليلا إلى الراحة
و أعهد إليك ببعض الزهور الأثيرة لديّ ،
و هي بكماء و قاصر ،
و لا تعرف مواسمها
و لا الفرق بين الربيع و الخريف !
فأرجوك :
اسقها . .
و لا تناقشها !!

شهيد مع بعض التحفظات

كنت بذيئاً بالسليقة
ثرثاراً بالفطرة .
و في عالم تتنازعه أوتار شوبان ، و أكلة لحوم البشر
اخترت القشور فيما آكل و أشرب و أدخن
لأنها أكثر غنى بمقومات الحياة كالشمس و الغبار و الريح
و لكن منذ قرأت أنّ صحاف الحجاج في الولائم
كانت تصف أمامه على ظهر أحد عبيده
و إذا ما تقلقل هذا لأي سبب من الأسباب
قطع رأسه بسيفه المسلول إلى جانبه
و أن والياً آخر كان يشعر باللذة الجنسية
كلما قضى أحد خصيانه بسبب التعذيب
صار الخبز و السيف و التغوّط محور الشر في حياتي
قبل أن تدخل هذه العبارة أبواب البيت الأبيض و البنتاغون

و هزئت من آداب السلوك و المرور أمام الموائد
و سلامة النطق و الإملاء
و تمسكت بأخطائي في الكتابة و القراءة و التشرد
حتى عندما آكل و أشرب و أكتب و أدخن .

*

و ما من مشهد مسرحي أو صورة عاطفية
استقرت يوماً واحداً في صفحة أو سطر في دفتر يخصّني .
و على هذا المنوال ..
كنت أنتظر الطبخة حتى تنضج
و لا أنتظرها حتى تبرد
و أعتبر الأسنان فائض قيمة أو إنتاج يجب أن تزول
و قد حقق لي القضاة العرب هذه الأمنية باستجواب واحد .

*

أما مرشدنا اللغوي و الجمالي شوقي أبي شقرا
فقد كان له عالم و مزاج آخر
فحبيبته وملهمته دائماً من الفواكه والخضروات المتوفرة والسهلة الهضم :
تفاحة .. دراقة .. بطيخة . . حبكة رواية .. سعال دجاجة !!
و هو نفسه يشبه الموزة التي يكتب عنها أو يأكلها ..
أو الحورة التي كانها ..
و دائماً يعطينا الفرصة الكافية قبل أن نتكلم
كالرعد المتمهل
أو الطوفان الحسن النية
دائماً في الظل إذا جلسنا
و في الزاوية الميتة إذا تحلّقنا
و في المؤخرة إذا تنزهنا

و لذلك كان لصوته عندما يتحدث بعد صمت طويل
حفيف أوراق المصحف الجديد
حين يفتح و تقلب صفحاته .

*

و عندما خذله الشرق بعد أن تحضّر
و الغرب بعد أن توحّش
لجأ إلى معلمه الروحي يوسف الخال في أحد المقابر
و لكن دون أن يوجّه إليه أية شكوى أو سؤال
منتظراً أن تأتي المبادرة منه احتراما لمقامه المنسي
بين الحشائش و الصلبان الغبراء ! .

معيل الأرصفة و ما فوقها

كان حي المزرعة الذي نقيم فيه
أشبه بالظهر المخلوع
أو الأحلام المحطمة
و أرصفته لا بد منها كصلاة العيد أو الغائب
و كان عبد الكريم نزيلها و سائحها الدائم
قد ترعرع و تدرج في مناصبه من مدير صادرات و واردات
إلى مندوب إعلانات
إلى مندوب حانات و حاويات
و لا يطرق بابي إلاّ عند الغروب
و في قعر زجاجة ، علبة ، قمع ، كيس تسوق : قطرات زيت ، حبات هال ، زعتر ، كمون
و يبادرني :
اشتهيت لك هذا أو ذاك

و لا أريد إلاّ سلامتك

فالجار للجار

و الله الموفق

إلى أن يسقط في يدي و أعطيه ما في جيوبي

فيلتقطه و يهرع إلى أقرب حانة ، حيث ينتظره وليد مارديني بلبل الإذاعات و المسلسلات الفكاهية ، و الذي أتلف و أفنى حنجرته بالتبغ و الخمر و الصراخ و التكرار لإسعاد المستمعين و استبدلها بصمام بلاستيكي من طبيب شعبي في إحدى الحانات

و ذات يوم و أنا في طريقي إلى الربوة كعادتي كل صباح رأيتهما أمام الحانة بانتظار افتتاحها

و كان وليد يتحدث بدون حنجرة أو صمام أو أية وسيلة من وسائل النطق و الإيضاح

فسألت عبد الكريم : عم تتحدثان ؟

فقال : عن الوضع !

فأردفت : و هل تفهم ما يقول ؟

فأجاب : كل حرف .

*

و ذات مساء قرع الباب في ساعة متأخرة من الليل

و كنت أتوقع أي زائر إلاّ عبد الكريم .

صحيح أنه معدم و لكنه يفهم بالأصول

و قدم لي منحنيا وردة حمراء كالدم القاني

لم أر و لم أسمع عن مثيل لها إلاّ في الأساطير :

" الوردة الدمشقية "

و لحقت بي ابنتي شام بثياب النوم

لتنبهني همسا بعد أن لاحظت بحثي في جيوبي بحركة لا شعورية و قالت :

لا يا أبي

عبد الكريم جاء هذه الليلة ليعطي . . .

لا ليأخذ .

كمال خير بك

كنت أغني ، و أنت تطلق الرصاص . .
كنت أكتب ، و أنت تطلق الرصاص . .
كنت أقرأ ، و أنت تطلق الرصاص . .
كنت أعزف ، و أنت تطلق الرصاص . .
كنت أرسم ، و أنت تطلق الرصاص . .
كنت أنحت ، و أنت تطلق الرصاص . . في كل اتجاه
انتصاراً للحق و الخير و الجمال و القضية
و ها هم رفاق الدرب الطويل
يزورون قبرك بانتظام
ليقرؤوا عليه أسعار العملات الأجنبية لذلك اليوم !!

سليمان عواد

في يوم كسوف شهير للشمس و خسوف للقمر
و مع تباشير الكساد العالمي في وول ستريت
والخامس من حزيران ووعد بلفور بتوقيت الجماهيرية الليبية العظمى
ولد في سلمية شاعر مبدع على مستوى بودلير وفيرلين ورامبو ، اسمه :
سليمان عواد

و قد حفر الفقر في وجهه خطوطاً و أثلاماً لم يحفر مثلها كل سجناء الأشغال الشاقة عبر العصور

و قد واجه الحياة بشعر طويل حول أذنيه و عقب لفافة بين شفتيه و قبعة تطير و تتدحرج فوق عربات الحصاد و تحت الأحذية و الحوافر .

ويحلم بعالم لا يعمل فيه أحد إلا في قراءة الشعر أو الإصغاء إليه .

و كان يكره الأسماء الشائعة للطعام و الشراب و الأشخاص والشوارع و المواقع :

عقارب ، عقيربات ، خنيفس ، أبو قبيس إلى سوهاد ، نياغارا ، تاهيتي

و في الأسماء : دعاس ، هواش ، أبو صياح ، أبو رياح ،إلى جاك ،جلنار ،جوني ، غيتار

و في الطعام : من محشي ، باطرش ،جظ مظ ،إلى فيليه ، روستو ، شاتوبريان .

*

حتى الأمراض يريدها غريبة و من بلاد بعيدة و ذات وقع شاعري و موسيقي على الأذن

و كان لا يتعاطى المشروبات الجيدة و إذا ما أحرج و شرب منها رشفة واحدة لفظها في الخلاء لاعتقاده بأن الأشياء الجميلة التي وهبتنا إياها الطبيعة يجب ألا نستهلكها ، بل يجب أن نحلم بها

و دائماً كانت له حبيبة في خياله اسمها " سمر نار " تقع في غرامه من أول نظرة أو سعلة أو شردقة أو مروره في الشارع و لو كانت في الطابق العاشر

و قد اتصل به أحد مقلدي الأصوات النسائية مدعياً أنه فتاة مغرمة به و بشعره و تريد لقاء فوريا في محل بكداش فطار صوابه من الفرح و الثقة بالنفس ، ثم تجهّم و لم يعرف ماذا يفعل و إلى أين يتجه؟

فهناك محلان للبوظة بهذا الاسم : واحد في الحميدية و آخر في الصالحية

و عاش و مات و لم يعرف في أي منهما كانت تنتظره ؟

و منذ ذلك الحين أخذ يتوجس من زملائه الكتاب الماركسيين والحركات اليسارية كلها .

و لم يكن هناك من يبثه همومه و يبوح له بأسراره سوى أمير البزق محمد عبد الكريم ، و كان هذا رحمه الله بالكاد يرى تحت أشعة اكس ، فكيف سيعثر عليه في يوم الحشر ؟

حقيبة سفر

أيتها البدوية الشقراء الساحرة
لم تغمضين عينيك عن أشياء كثيرة
و المطلوب واحد
فقرّاء الصحف و متتبعو الندوات و المهرجانات
يتساءلون : إن كنت نسيت ثأرك القديم . . .
فأجيبهم :
ما من بدوي ينسى شيئاً
أو يؤتمن على شيء . . .
وهي حيثما وأنّى سافرت وطافت وعرّجت وخطبت وجوّدت وسجعت ،
فحقائب سفرها مملوءة بمياه بردى
أو حتى بوحوله و بعوضه
إذا نضب أو جفّ في أحد الفصول
و لكنني لا أستطيع مساعدتها و لو بطلقة أو بطعنة واحدة

فأنا بدوي أيضاً و لي ثأري الخاص
و لكنني تعودّت الصمت و الكتمان
و نكش الأرض بظفري أو قلمي
و أنا مطرق الرأس في أي مكان
حتى تحل اللحظة المناسبة .

الأمير المعتّق

اسماعيل سليمان أو أبو سليمان
لأسباب تاريخية أو بيروقراطية
انحنى ظهره كقوس مشدود إلى سهم .
و انتهت حرب البسوس و داحس و الغبراء
و حرب الخوارج و بني هلال
و الردة
و حرب ٤٨
و حرب حزيران
و تشرين
و لبنان
و العراق
و الجزائر
و اليمن

و الصومال

و السودان

و حرب الاستزاف

و سهمه لم ينطلق بعد ...

*

لم يترك له الإصلاح الزراعي سوى شجرة أمام بيته يستظل بها ..

و صقر قريش و ابن سينا سوى بضع بلاطات يذهب و يجيء عليها إلى الصيدلية المجاورة و الرد على تحيات المارة

و السؤال عن حال الموسم عند أتباعه و مريديه

و لا يحمل نقوداً كأي أمير عريق

و لا يدخن ، و لكنه يسعل مسايرة لضيوفه و ناخبيه المدخنين

و لا يشرب ، و لكنه يتباسط مع مزارعي الكروم و عمال المعاصر

ثم يعود ليتأمل حفر الرصيف و أعقاب اللفائف ، ويحصيها قبل أن يلتقطها متسكعو بلده و رعيته .

*

أليف كريشة في جناح

غريب كجناح بين حوافر

بل هو مثل خريطة معركة حاسمة ، يمكن النظر إليها من أكثر من زاوية ..

لقد أعطاه الله : الجمال و المروءة ، و العافية ، و المال و العلم والثقافة و الجاه و الحسب و النسب ، و لم يحرمه من شيء سوى : رؤية السماء .

مع أن عينيه بلون السماء ... و عند الغروب أيضاً !! .

خرافة

السنابل تهرب من العصافير
و العصافير من الغربان
و الغربان من النسور
حتى الأرض بشكل حقيبة أو سيارة إسعاف
الجريح على الأرض و كل ما يحتاجه خطوة واحدة لنجدته
و فجأة : كما يهبط الوحي على الأنبياء و الممثلين و المقامرين
قررت أن أستغل تعب الفلاحين و الرعاة و فرصة الغداء
والتدخين للعمال و تثاؤب الشرطة أثناء تبديل المخافر و الدوريات
وسرقة ما أستطيع من هذا الوطن و إنقاذ ما يمكن إنقاذه .

*

سأضع صخوره و جباله على ظهري
و طيوره و فراشاته و قطعانه على صدري
و أغانيه و زغاريده في حنجرتي
و ثلوجه و أمطاره في شراييني

و دموعه في عيني
و سكانه و حدوده و ثرواته الدفينة تحت قبعتي أو في قاع مزدوج
لحقيبتي كما يفعل تجار الممنوعات
وآدابه و فنونه ومعلقاته وآثاره في ذاكرتي أو ركن مهمل في جبيني
و صحفييه و نقاده و منظريه و هتافيه في جيوبي
أما فنادقه و حاناته و مقاهيه و مسارحه و معابده
فسأتركها مع روادها حيث هي فلا أريد أن أقطع برزق أحد

*

ثم أزرّر سترتي و أتمشى هنا و هناك مثل موظف انتهى دوامه
أو متقاعد لا يعرف بماذا يشغل وقته
أما الفنتازيا التاريخية و الأغاني الهابطة و الأزياء الفاضحة
والسكاكر الفاقدة الصلاحية سأرشو بها من يواجهني على الحدود التي
سأجتازها بين بلد و آخر
فالله وحده يعرف إلى أين سيقودني شعري و جنوني .

في دفتر مواعيده المهلهل كهذا الزمان :

شراء سيارة أو تبديلها

آخر موعد مع رجاء

و أول موعد مع هيام

لوازم منزلية

تصليح نظارات

هدية للوالدة في القرية

مقابلة صحفية مع فرّان حول قصيدة النثر

و أخرى مع شاعر حول أزمة المحروقات

فسحة للأطفال

موعد طارئ في الجمارك

و ينتهي المشوار في نادي " أرباب العمل " حيث يتواجد القصير و الطويل ، البدين و الهزيل ، الأعرج و الأكتع أو الرياضي و المشجع ،

و المنطوي ، و المصاب بالزهايمر ، و غيرهم من النماذج التي لا يمكن أن تجتمع تحت سقف واحد إلاّ في النظارة ، و على الحدود الدولية أيضاً .

*

و بعد استراحة قصيرة في قصر المؤتمرات . . إلى قصر العظم . . إلى قصر البلور . .

إلى قصر ابن وردان . . إلى قصر العدل . . إلى مكتب عنبر . . إلى مكتب الحبوب . . إلى المكتبة الظاهرية . . إلى مكتب الشحن لأي مكان .

و لذلك أعجب به و أتواجد دائماً قرب الهاتف لتلقي أخباره

من سهل الغاب

من مصنع مراوح

في قلعة الحصن

على جبل عرفات

أو في بئر نفط

*

و هو لو قـدّم لك زجـاجـة عطر كـهـدية ، يجب أن يحتـفظ بسـدادتهـا ، أو علبة دواء يجب أن يحتفظ بوصفة الطبيب ، دستة جوارب يجب أن يأخذ فردة منها .

ثم تراها جميعاً بين قدميه و هو أمام مقوده ، أو وراء ظهره على المقعد الخلفي ، وهو ينطلق بسرعة جنونية بعيداً عن كل ما له علاقة بالصحافة و الشعر و المسرح و الوطن .

و هذا أجمل و أسوأ ما فيه .

أعطيتها الحرية ...

فأعطتني السجون .

أعطيتها القصور و القلاع ...

فأعطتني الأكواخ .

أعطيتها الشمس ...

فأعطتني الظلام .

أعطيتها الفصاحة و البلاغة و البيان أمام الملوك و العلماء ،

فأعطتني التلعثم و التأتأة أمام الخدم و الجواري و الخصيان .

أعطيتها الطريق و الجسور و إشارات المرور ،

فأعطتني الحفر و المستنقعات .

أعطيتها الأفق ،

فأعطتني الأسلاك الشائكة و حارطة الطريق .

أعطيتها فيروز و أسمهان و عبد الوهاب و فايزة أحمد و وردة و عبد الحليم و أعذب بلابل و حساسين الوطن ،

فأعطتني أبواق النجدة و سيارات الإسعاف .

أعطيتها عقبة و طارق و عنترة و الغافقي و القعقاع ،

فأعطتني هزيمة حزيران .

أعطيتها الكمأة وتوت الأرض و مدخرات الأطفال ،

فأعطتني المتفجرات و القنابل .

أعطيتها البنوك و المناجم و خيرات الأرض و السماء ،

فأعطتني الطرق على الأبواب .

أعطيتها حشاشة الكبد و مهجة القلب و الروح و الفؤاد ،

فأعطتني طرف اللسان .

ثم كل الذين أحببتهم ، جاعوا و تشردوا ، و فقدوا أرزاقهم وأطرافهم ، و عقولهم و حياتهم من أجلها و وفاءً لها ،

فغدرت بهم جميعاً .

إنها فلسطين . . .

و لذلك يحق لي الثأر منها و غسل العار كأي بدوي لا ينام على ضيم مهما كنت سأفتقدها و أشتاق إليها .

الاسم : صفر

الكنية : صفر

الطائفة : صفر

المدرسة : صفر

الشارع : صفر

(المنهاج الدراسي)

علوم : صفر

آداب : صفر

تاريخ : صفر

جغرافيا : صفر

رياضة : صفر

لغات أجنبية : صفر

الذكاء : صفر

موهبة خاصة : صفر

السلوك : صفر

الديانة : صفر

الترتيب العام : صفر

هكذا بدأت و هكذا سأبقى و الله من وراء القصد أو الأفق !!

الفهرس